UN

UNESCO

مفتريات اليونسكو على الإسلام

محمد عبد الله السمان

المختار الإسلامي

EC

مفتريات اليونسكو
على
الإسلام

محمد عبد الله السمان

مفتريات اليونسكو على الإسلام

المختار الإسلامي
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة : ص. ب ١٧٠٧
هاتف ٩٣٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

اليونسكو فى سطور

- الاسم الموجز الذى اشتهرت به هو « يونسكو » وهو الحروف الأولى للكلمات التى يتألف منهـا اسم المنظمة فى اللغـة الانجليزية ..
- احدى المنظمات التابعة للأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة .. تأسست فى عام ١٩٤٦ م لدعم التعـاون بين الأمم عن طريق التربية والعلوم والثقافة ولتعزيز الاحترام العالمى للعدل وحكم القانون وحقوق الانسان والحريات الأساسية ..
- تعمل على انماء التبادل الثقافى بين الدول وجعل الأعمال الفنية والأدبية والفلسفية فى متناول الشعوب ..
- كانت المنظمة تضم ٢٠ دولة وقت انشائها أما الآن فهى تضم ١٢٠ دولة ..
- للمنظمة مكتب اقليمى مقره القاهرة يعرف باسـم « مكتب التعـاون العلمى للشرق الأوسـط » ويضم ١٨ دولة هى : الأردن ، البحرين ، ايران ، العـراق ، الـكويت ، قبرص ، لبنان ، ليبيا ، الجزائر ، المغرب ، تونس ، السـعودية ، السودان ، سوريا ، اليمن ، جمهورية جنوب اليمن الشعبية ، تركيا ، جمهورية مصر العربية ..

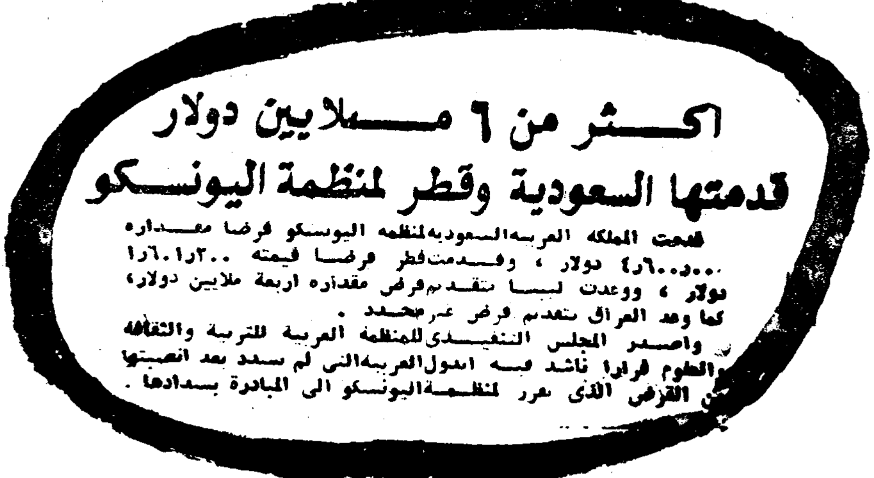
أكثر من ٦ ملايين دولار

قدمتها السعودية وقطر لمنظمة اليونسكو

قدمت المملكة العربية السعودية لمنظمة اليونسكو قرضـا مقداره ٠٠٠ر٦٠٠ر٤ دولار ، وقدمت قطر قرضا قيمته٣٠٠ر٦٠١ر١ دولار ، ووعدت ليبيا بتقديم أربعة ملايين دولار ، كما وعد العراق بتقديم قرض غير محدد .

وأصدر المجلس التنفيذى للمنظمة العربية للتربية والثقـافة والعلوم قرارا ناشـد فيه الدول العربيـة التى لم تسدد بعد أنصبتها من القرض الذى تقرر لمنظمـة اليونسكو الى المبـادرة بسدادها !!..

« أخبار اليوم ٦/٣/١٩٧٦ »



اكـثر من ٦ مـلايين دولار

قدمتها السعودية وقطر لمنظمة اليونسكو

قدمت المملكة العربية السعودية لمنظمة اليونسكو قرضا مقداره ٠٠٠ر٦٠٠ر٤ دولار ، وقدمت قطر قرضا قيمته ٣٠٠ر٦٠١ر١ دولار ، ووعدت ليبيا بتقديم قرض مقداره اربعة ملايين دولار ، كما وعد العراق بتقديم قرض غير محدد .

واصدر المجلس التنفيذى للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قرارا ناشد فيه الدول العربية التى لم تسدد بعد انصبتها من القرض الذى تقرر لمنظمة اليونسكو الى المبادرة بسدادها .

مقـــدمة

● تشرف « منظمة الثقـــافة والتربيـــه والعلوم » المعروفة بـ « اليونسكو » وهى تابعـــة لهيئة الأمم المتحـــدة ـ تشرف على موسوعه « تاريخ الجنس البشرى وتقدمه الثقافى والعلمى » والمجلد الثالث من هذه الموسوعة : « الحضارات الكبرى فى العصر الوسيط » الذى ترجم عن الفرنسية الى الانجليزية ، كتب فصوله « جاستون فييت » و « فاديم الييف » و « فيليب وولف » ثم « جان نادر » والفصل العاشر من هذا المجلد خاص بالعرب ، وقد سود كاتبه صفحات هذا الفصل بمداد هو مزيج من التشويه لتاريخ الاسلام ، والافتراء على سيرة نبى الاسلام وخلفائه الراشدين ، وان القـارىء المتتبع للنشاط الفكرى للمستشرقين المتعصبين لا يخالجه أدنى ريب فى أن كاتب هـــذا الفصل هـــو المستشرق الفرنسى الراحل : « جاستون فييت » .

● **فمن هو المستشرق جاستون فييت ؟**

من محررى « دائرة المعارف الاسلامية » التى تصدر بالانجليزية وتترجم الى عدة لغات ، ولا تزال الترجمة العربية تصـدر فى مصر تباعا ، وقد كان الكاتب مديرا لمتحف الفن الاسلامى فى القـاهرة سنوات عديدة ، وكتب تاريخا عاما لمصر الاسلامية ، وترجم بعض مؤلفات طه حسين والحـكيم وتيمور الى الفرنسية ، وكتابه « مجد الاسلام » مزدحم بالافتراءات على الاسلام ، والتشويهات لتاريخه ، وقد تولى الرد على هذا الـكتاب على صـفحات الملحق الأدبى لجريدة الأهرام ، الأسـتاذ الدكتور « حسين مؤنس » أسـتاذ التاريخ الاسـلامى بجامعة القاهرة ، ونشر نص النقـد فى الطبعة الثـامنة

الأخيرة من كتاب : « الفكر الاسلامى الحديث ، وصلته بالاستعمار الغربى ، للأستاذ الدكتور محمد البهى » وزير الأوقاف وشئون الازهر الأسبق ، قال الدكتور حسين مؤنس عن الكتاب : « هذه محاولة لانجاز تاريخنا الطويل فى نيف و ٣٥٠ صفحة ، حاول « جاستون فييت » أن يقدم « بانوراما » لتاريخ الاسلام » كما قال عن المؤلف : « والمؤلف هنا فرنسى ، والفرنسى مهما بلغ علمه ومهما قيل عن تجرده ، لا يمكن أن ترضى نفسه بانصاف العرب والمسلمين بحال ••• » •

● لماذا هذه الحملة الجائرة على الاسلام ؟

أهو حقد قديم متجدد يرجع الى الحروب الصليبية ؟

ان الاستشراق هو الذى تولى – ولا يزال يتولى – كبر هذه الحملة الجائرة على الاسلام : عقيدة ونظاما ، وفكرا وتراثا ، ونهجا وتاريخا ••

يقول أستاذنا الدكتور محمد البهى فى مؤلفه القيم السابق الاشارة اليه :

« يرجع تاريخ الاستشراق فى بعض البلدان الأوروبية الى القرن الثالث عشر الميلادى •• والسبب الرئيسى المباشر الذى دعا الأوربيين الى الاستشراق ، هو سبب دينى فى الدرجة الأولى •• فقد تركت الحرب الصليبية فى نفوس الأوربيين ما تركت من آثار مرة عميقة ••• وقد تركزت أهداف الاستشراق – مع تنوعها – أخيرا ، فى خلق التخاذل الروحى ، وايجاد الشعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامة ، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية » •

ويجب أن لا ننسى : أن المستشرقين ملة واحدة ، صليبيين كانوا أم يهودا أم ملاحدة ، لأن منهجهم واحد ، وهدفهم واحد ••

وهم يخضعون فى كل ما يكتبون عن الاسلام ، لما يعتمل فى نفوسهم من أحقاد على الاسلام •• حتى الذين يزعمون – من واقع عناوين مؤلفاتهم ودراساتهم – أنهم منصفون للاسلام •• بل حتى الذين كان من المفروض علينا أن نحترم كتاباتهم لمكانتهم العلمية • وفى مقدمة هؤلاء : « أرنولد توينبى » المستشرق الانجليزى المعروف ، ذو الأخطاء الكثيرة فيما كتب عن الاسلام والرسول فى مؤلفه العالمى ذائع الصيت : « دراسة للتاريخ » وهو فى عشر مجلدات ، وقد قام المستر « سومرفيل » بعمل مختصر له ، وترجم هذا المختصر فى مجلدات أربعة ، وأنفقت الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية على الطبع ••

● التجرد من الضمير •• لا من الهوى •• :

ان الذين يتصدون لكتابة التاريخ ، يجب أن يتوافر لديهم عقول المفكرين وضمائر العلماء ، لأن عقل المفكر يحجزه عن الزلل ، وضمير العالم يعصمه عن الهوى ، ونحن اذا تتبعنا معظم انتاج المستشرقين الذين كتبوا فى الاسلام ، لا نكاد نعثر على مستشرق واحد نحترم عقله أو ضميره ، وليس معنى هذا أنه يجب علينا أن نسىء الظن بكل كتابات المستشرقين ، لأن البعض منهم خلط فكرا صالحا وآخر سيئا ، وأمامنا مثل واضح من « دائرة المعارف الاسلامية » التى سبقت الاشارة اليها ، فهى تضم عشرات المستشرقين من كل لون وجنس وملة ، ومعظمهم معروف لنا ، مثل : « بلاشير » المستشرق الفرنسى ، مؤلف كتاب « مقدمة القرآن » و « كارل بروكلمان » المستشرق الألمانى ، مؤلف كتاب « تاريخ الشعوب الاسلامية » و « لوى ماسينيون » أكبر مستشرقى فرنسا المعاصرين ، ومؤلف كتاب « الحلاج الصوفى الشهيد فى الاسلام » و « ماكدونالد » المستشرق الامريكى ، ومؤلف كتاب : « تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الاسلام » وغير

هؤلاء ، ودائرة المعارف الاسلامية تطبع بعدة لغات حية ، منها اللغة العربية ، ومحرروها من المستشرقين الذين يغلب عليهم التعصب ، ومع ذلك فلا يمكننا أن ننكر أن فى هذه الدائرة الواسعة الانتشار ثقافة وعلما ، ولكن فى نفس الوقت ليس من حق أحد أن ينكر علينا أن نقول : ان فيها أيضا هوى جامحا ، وزيفا متعمدا ٠٠٠

لذلك فنحن نفتقد دائما فى المستشرقين ـ أو فى معظمهم على الأقل ـ أخلاق العلماء ، فالعلماء الخلص يبحثون عن الحقيقة بعقول مجردة ، ثم يقررون الحق بضمائر حية ، ونحن مثلا نسقط من الحساب دائما فكر المبشرين بوجه عام ، لأن هؤلاء المبشرين لم يزعموا أنهم علماء ، وحتى ـ وان زعم البعض منهم العلم ـ فزعمه غير مقبول على الاطلاق ، فهدف المبشرين هو الاصرار على طمس الحقائق أو تزييفها ـ على الأقل ـ ان أعياهم طمسها ، لكن المستشرقين يتزيون بزى العلماء ، بلا أخلاق العلماء ٠٠ فهم يحرصون على ألا يسقطوا من الحساب لدى المسلمين كسائر المبشرين ، ولا جدال فى أن فشل التبشير الصليبى فى مهمته هو الذى أدى أيضا الى ظهور الاستشراق كلون مخفف من التبشير ، ولكن كعامل مساعد له فى أداء مهمته ، فيكفى من الاستشراق أن يزيف حقائق الاسلام ، وعلى التبشير أن يقوم بعملية طمسها ، كما يكفى من الاستشراق أن يشوه البناء الاسلامى ، وعلى التبشير أن يقوم بعملية هدمه ٠٠٠ ولا حاجة بنا الى ضرب الأمثلة فهى من الكثرة بمكان ٠٠

● لماذا الرد على مفتريات اليونسكو ؟

هناك أكثر من سبب يدعو الى الرد على مفتريات «اليونسكو» بل يفرض هذا الرد على مفتريات « اليونسكو » على الاسلام ، والتى وردت فى موسوعتها : « تاريخ الجنس البشرى وتقدمه الثقافى

والعلمى » وفى الفصل العاشر من المجلد الثالث : « الحضارات الكبرى فى العصر الوسيط » :

أولا : لان مثل هذه المفتريات لا يمكن السكوت عليها ، ولابد من دحضها ، ولا يكفى هنا ـ أضعف الايمان ـ كأن تحتج بعض الهيئات الاسلامية ، أو يكتب مقال فى مجلة اسلامية محدودة الانتشار ٠٠ أو تردد ألسنة المسلمين : اللهم ان هذا منكر لا يرضيك يا رب العالمين ٠٠ فى الوقت الذى تقرر فيه هذه المفتريات : أن الاسلام تركيب ملفق من المذاهب اليهودية والمسيحية ٠٠ مضافا اليها التقاليد القومية الوثنية والعربية ٠٠ و « أن الشريعة الاسلامية معقدة » و « أن الاسلام يكره التجديد » و « أن فى القرآن تناقضا » ٠٠

ثانيا : لان موسوعة « اليونسكو » التى تضمنت افتراء على الاسلام ، اثير ما أثير حولها منذ بضعة شهور ، منذ أن بدأ هذه الاثارة على صفحات الصحف اليومية بالقاهرة ، الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء السابق لشئون الاوقاف والأزهر ، ولم يتقدم مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ولا غيره لدحض هذه المفتريات ، على الرغم من أن الأستاذ الفاضل عبد العزيز عبد الحق الأمين العام المساعد السابق لمجمع البحوث الاسلامية ، تفضل مشكورا بتكليف من الأزهر ، بترجمة الجزء الخاص بالمفتريات على الاسلام ، من الانجليزية الى العربية ، وكان أن أودع هذا الجهد زوايا النسيان ، وبالرغم أيضا من أننى تحدثت بنفسى مع فضيلة الشيخ خلف السيد الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ، واقترحت أن يختار فضيلته لجنة للرد على المفتريات ، ووافق فضيلته ٠٠ وكفى ٠٠

ثالثا : لأن هذه المفتريات على الاسلام ، صدرت بأكثر من لغة أجنبية ، ومن منظمة عالمية لها أثرها وتأثيرها فى العالم ولا سيما العالم العربى الاسلامى الذى تتلقى منه معونات لا حصر لها ، ولو كان مثل هذه المفتريات صدر فى كتاب ينسب الى مؤلفه فحسب ،

لهان الأمر ، فما أكثر المؤلفات الأجنبية المنحرفة والمحشوة بالهجوم على الاسلام ، التى تتسلل الى ديارنا نحن المسلمين ، ولا نلقى لها بالا ..

* * *

● **وبعد ...**

فما أن تحدثت مع أخى الأستاذ حسين عاشور صاحب « المختار الاسلامى » بالقاهرة فى هذا الموضوع ، حتى ألفيته متحمسا لنشر الرد على هذه المفتريات ، بدافع من عقيدته قبل كل شىء ، فشجعنى حماسه العقائدى على أن أترك كل شىء لأتفرغ لهذا الرد ، ومع أنى بذلت ما استطعت من جهد خلال أكثر من شهرين .. الا أننى أعتبر ما أقدمه فى هذا الكتاب من قبيل جهد المقل .. والله الموفق ..

القاهرة : محمد عبد الله السمان

تمهيد

● ليس مستغربا أن نقرأ من حين الى آخر تطاولات على الاسلام : عقيدة ومنهجا ، وفكرا وتراثا .. وهذه التطاولات ستظل نشيطة الى ما شاء الله .. لا يتطرق اليها اليأس ، ولا يتسلل اليها الملل .. بل ما هو مستغرب الى درجة الدهشة أن تسهم بنصيب وافر من هذه التطاولات على الاسلام هيئة رسمية عالمية مثل هيئة « اليونسكو » تتبع منظمة الامم المتحدة ، المفروض فيها أن يكون لها وقارها واحترامها لدى سكان العالم أجمع .. فالشعوب هى التى تمولها ، ومن هذه الشعوب : الشعوب العربية والاسلامية – بالطبع – التى لم تضن عليها بأرضها ولا بأموالها ، ولم تطلب منها أن تجامل الاسلام والمسلمين فى موسوعتها : « تاريخ الجنس البشرى وتقدمه الثقافى والعلمى » لان الاسلام والمسلمين – والحمد لله – فى غنى عن هذه المجاملة ، وانما كل ما كانت توده هو أن تكون على الحياد – على الأقل – حتى يمكنها أن تنال لدينا ولو شيئا من الوقار والاحترام ..

● وما دامت هيئة « اليونسكو » قد ارتدت زى المؤرخ للحضارات .. فقد كنا نود ألا تبلغ بها الحماقة الى درجة الجهل بأن مقومات المؤرخ – حتى تنطبق عليه كلمة « مؤرخ » – ليس منها زى المؤرخ على الاطلاق ، فمقومات المؤرخ هى – فى المقام الأول – : العلم والأمانة والتجرد من الهوى ، وما كتب عن الاسلام ونبى المسلمين فى موسوعة « اليونسكو » وفيه كثير من الافتراء : اما أن يكون قد كتب عن جهل ، فالسؤال الذى يلقى التبعة على هذه الهيئة : لم اختارت الجهلاء من غير المسلمين للكتابة عن تاريخ الاسلام ؟ واما عن عمد .. فالسؤال الذى يلقى التبعة أيضا على هذه الهيئة : لم اختارت للكتابة عن تاريخ الاسلام كتابا ليسوا على أدنى مستوى من

الضمير والأمانة والتجرد من الهوى ؟ وهى فى كلتا الحالين يجب أن ندرك أنها بسلوكها هذا ، لن يكون من حقها على الشعوب العربية والاسلامية الا الازدراء ، واسقاطها من الحساب ٠٠!

● ان هيئة « اليونسكو » قد تتجاهل — ولا يمكن أن تجهل — أن فى العالم الاسلامى مفكرين ، على أعلى مستوى من العلم والمعرفة والضمير ٠٠ اذن فلم لم تستعن بهؤلاء المفكرين ؟ واذا كان لابد من أن تستكتب مستشرقين من محررى « دائرة المعارف الاسلامية » المعروفة بميولها اللاحياديه بالنسبة للاسلام ، وغيرهم ، أفلم يكن يقتضيها الانصاف أن تعرض ما كتب عن الاسلام على متخصصين اسلاميين لتسجيل تعليقاتهم ٠٠

أعتقد أن هيئة « اليونسكو » لا يمكن أن تكون فى حل من هذا كله ، الا اذا زعمت أن ما ينسب اليها من كتابة تاريخ الجنس البشرى ، يعبر عن وجهة نظرها ، ولا أظنها تجرؤ على هذا الزعم ، لانها مؤسسة تابعة لهيئة الامم المتحدة ، أى أنها ملك لشعوب العالم الاعضاء فى المنظمة الدولية ، وليست تابعة مثلا لجمعية الصليب الأحمر أو لدولة الفاتيكان ٠٠

● ولنفرض أن هيئة « اليونسكو » أصبحت موقنة بأنها تعمل بلا رقابة عليها ، أفلم يكن من اللائق بها أن تحترم نفسها كهيئة عالمية ، وأن تشعر بالالتزام الأدبى عليها نحو الغرض الذى أنشئت من أجله ؟

هل هى فى حاجة الى أن نذكرها بما قيل فى مؤتمرها العام سنة ١٩٤٦ :

« ان توحيد العالم لا يتأتى مع بقاء نصف أبنائه أميين لا يقرأون ولا يطلعون على شىء من تلك الثقافة التى تعمل على لم أطرافه وتنظيم شعثه ٠٠ »

بمثل هذه الكلمات عبرت الهيئة العالمية عن نفسها ، وحددت هدفها : فى توحيد العالم عن طريق نشر الثقافة ، وفى مؤتمرها عام ١٩٤٨ عبرت عن منهجها ٠٠ فقالت :

« ان الهيئة تبذل جهودها لاقناع الناس بفكرة عالم متماسك واحد ٠٠ ويتحقق هذا الغرض بتشجيع التعاون على تنفيذ واجبات معينة من الحكومات والشعوب ، وكذلك من المربين والعلماء والفنانين والخبراء ٠٠ فى الاذاعة والسينما والصحافة ٠٠ وجميع العاملين فى ميادين التربية والعلوم والثقافة ٠٠ »

اذن فماذا جرى للهيئة العالمية « الموقرة » التى تسعى — أو بمعنى أدق — التى تزعم أنها تسعى لتوحيد العالم عن طريق نشر الثقافة ؟؟

هل من الأساليب المقبولة لديها لتوحيد العالم عن طريق نشر الثقافة أن تقدم للعالم تاريخا مشوها عن الاسلام ونبى الاسلام ، مرخية العنان للاقلام الصليبية المسعورة أن تنهش تاريخ الاسلام بلا حساب ٠٠ ؟ ومتحدية مشاعر مئات الملايين من المسلمين بلا حياء ؟ ومسجلة على نفسها أن ما أعلنته على العالم يوم انشائها محددة هدفها ومنهجها ، لم يكن الا مجرد شعار ، شعار أجوف لا أكثر ٠٠ ومسجلة أيضا على نفسها أنها أصبحت منطقة نفوذ للصليبية الدولية ، واليهودية العالمية ٠٠٠!

● قلنا : انه كان من الممكن أن لا نلقى بالا للمفتريات التى وردت فى موسوعة « اليونسكو » على الاسلام ٠٠ لولا أن هذه الموسوعة تنسب الى الهيئة العالمية ، التى هى ملك لشعوب العالم قاطبة ، ولا يمكن أن تنسب الى كتابها ، من المبشرين والمستشرقين من أمثال « جاستون فييت » المستشرق الفرنسى ٠٠ صاحب السوابق فى تطاوله على تاريخ الاسلام ٠ اذن فالرد على هذه المفتريات ، ليس هدفه — فحسب — دحض هذه المفتريات ، بل أيضا تعرية هذه الهيئة الدولية « اليونسكو » من ثوب الخداع الذى تلتحف به ، حتى تدرك الشعوب العربية والاسلامية المفترى على دينها ورسولها ، لم تعد عالمية الا على أوراقها الرسمية وشبه

الرسمية ، لأنها أصبحت منطقة نفوذ للصليبية والصهيونية معا ، ومرتعا خصبا للفكر التبشيري والاستشراقي الحاقد ، ولم يعد هدفها — كما زعمت — هو : « توحيد العالم عن طريق نشر الثقافة » وانما هو محاولة الانتماء الى الغرب ، لتوحيد العالم — لا عن طريق نشر الثقافة الانسانية العامة — بل عن طريق نشر ثقافة الغرب الخاصة ، التى يمثل الفكر التبشيرى والاستشراقى أعظم جانب منها ..

● **فماذا فى هذه المفتريات على الاسلام ؟**

أود أن أؤكد أولا :

ان هذه المفتريات التى سود بها عدة صفحات «جاستون فييت» ليست مفتريات جديدة ، بل سبق لهذا المستشرق فى مؤلفاته ، ورفاقه أن تقايأوها أحقادا فى بطون ما كتبوه عن الاسلام كيدا وافتراء .. اذن فهى افتراءات قديمة مكررة ، لاكتها الألسنة والاقلام ، منذ أن فكر الغرب فى الاستيلاء على العالم الاسلامى بكل مقوماته ، فقد سبق التبشير الصليبى الى أفريقيا وآسيا — حيث المواقع « الاستراتيجية » للاسلام — سبق الاستعمار ليمهد له ، ونشأ الاستشراق بعد أن منيت مهمة التبشير بالفشل الذريع ، لا ليرتدى زى التبشير الصليبى المنهزم ، وانما ليحمل عقله وتفكيره ، ويحقق هدفه بخطة جديدة ، تماما « كعصبة الأمم » و « هيئة الأمم المتحدة » فالفرق بينهما فى الاسم وربما أيضا فى الشكل .. وليس فى الجوهر ، كذلك الفرق بين التبشير والاستشراق هو فى الشكل ، كل ما حدث أن الاستشراق اليهودى أصبح قاسما مشتركا فى عملية الاستشراق ، ولم يكن له الا دور ثانوى — كعامل مساعد — فى عمليات التبشير .. صحيح أن كلا اللونين من الاستشراق : الصليبى واليهودى .. انما يعمل لحسابه ، الا أنهما متفقان تماما على الغاية .. والغاية : ليست — فحسب — ابراز القيمة الحضارية لكل من المسيحية واليهودية لتتضاءل قيمة

الاسلام الحضارية ، بل أهم من ذلك ، تشويه الاسلام وتاريخ الاسلام ، لتجريده من كل قيمة حضارية ..

وأود أن أؤكد ثانيا :

أن مثل هذه المفتريات هى من الهوان بمكان .. ولو صدرت من كاتب فرد لما منحناها أدنى اهتمام ، ولما شغلنا أنفسنا بها ، كذلك لو أن هذه المفتريات موسوعة أو دائرة معارف تنسب كلتاهما الى الدولة التى أصدرتها .. فلم يغب عن أذهاننا بعد ، ما سجلته مثل « موسوعة لاروس الفرنسية » من مفتريات ، ومثل « دائرة المعارف السوفيتية » أيضا ، وغيرهما ، وحسبنا أن نقول : ان هذه المفتريات فى مجال أسلوبها على مستوى أخلاقى هابط ، وليس لها أدنى نصيب من البحث العلمي أو حتى البحث التاريخي ، فهى ليست الا شتائم وسبابا ، لكن موسوعة تنسب الى منظمة ثقافية تتبع هيئة الأمم المتحدة ، ونسهم — نحن المسلمين — فى تمويلها .. فهذا مما لا يمكن السكوت عليه ، بل يصبح الرد عليها فرض عين على كل من يستطيع الرد ، وفى المقدمة المؤسسات الاسلامية فى العالم الاسلامى : الرسمية منها ، وشبه الرسمية وغير الرسمية ، هذه المؤسسات جميعها تشغل حيزا كبيرا من الفراغ .. لكن فقط .. بضخامة مبانيها ، وكثرة أعضائها ، والعديد من مؤتمراتها الدورية وغير الدورية ، لا لتعمل شيئا ، بل لتدور دائما فى حلقه مفرغة ، وحسبها أن تصدر قرارات وتوصيات فخمة العبارة .. أنيقة الأسلوب .. ولا أثر لها على الاطلاق ..

وأود أن أؤكد ثالثا :

ان مفتريات « اليونسكو » على الاسلام لا جديد فيها ، ونحن — بالطبع — لا نتعقب جميع هذه المفتريات ، لأن الكثير منها مثير للسخرية من عقل كاتبها ، وحسبنا أن نحدد الخطوط الرئيسية لهذه المفتريات ، التى لم تحز بها منظمة « اليونسكو » قصب

السبق ، فقد تكررت هـذه المفتريات في معظم كتابات المستشرقين السابقين على المستشرق الفرنسى « جاستون فييت » الممول الفكرى لمفتريات « اليونسكو » وستظل هـذه المفتريات تتكرر فى كتابات المستشرقين بعده الى أن يشاء الله ، وأحرص ما يحرص عليه المستشرقون الصليبيون واليهود والماديون الملحدون معا ، وجلهم من ذوى الأهواء والأحقاد .. هو أن يبرزوا الاسلام فى صورة تركيب ملفق ، من المسيحية واليهودية والمجوسية وما الى ذلك من الهوس ، وأن يبرزوا القرآن مجردا من أخص خصائصه أعنى « البلاغة » وأن يبرزوا الشريعة الاسلامية شريعة معقدة بالاضافة الى أن الفقه الاسلامى تأثر الى حد ما بالفقه الرومانى ، وأن يشككوا فى السنة كمصدر ثان للتشريع ، وأن يصوروا الحدود بصورة القسوة والوحشية ، وأن يجردوا نظام الاسلام من العدل بالنسبة لوضع المرأة الاجتماعى ، ووضع الذميين فى البلاد التى افتتحها المسلمون ..

وبعد ..

فالرد على مفتريات « اليونسكو » فى كتاب يطبع باللغة العربية ، ليس هو الحل الأمثل ، لأن هذه المفتريات طبعت بأكثر من لغة أجنبية .. ولكن ازاء ما نشر فى الصحف العربية عن هـذه المفتريات ، أصبح لزاما علينا أن نرد فى حدود امكانياتنا ، وليس فى استطاعتنا أن نفرض على الهيئات الاسلامية ذات الأسماء الطنانة ، والمباني الشاهقة ، والأموال الطائلة أن تسهم بنصيبها.. فحسبها أنها تعيش فى فراغ تسعد به ولا يسعد بها ..!

هل الاسلام تركيب ملفق ؟؟

● **أجل** : هل الاسلام – كما تقول « موسوعة اليونسكو » – تركيب ملفق من المذاهب اليهودية والمسيحية بالاضافة الى التقاليد القومية الوثنية العربية .. التى أبقى عليها كطقوس قبلية .. تجعلها أكثر رسوخا فى العقيدة .. ؟؟

هذه الفرية هى الشغل الشاغل للحاقدين على الاسلام من المبشرين والمستشرقين والماديين الملحدين ، فلا يكاد يوجد كتاب أو بحث فى مقال لهم ، يخلو من هذه الفرية ، وهم جميعا متفقون على جوهرها : أى أن الاسلام من تأليف وتصوير واخراج محمد – صلوات الله عليه – وان اختلفوا أحيانا فى الشكل الهيكلى لها ، أعنى المصادر التى استمد منها الاسلام كيانه ، فهذه المصادر تارة المسيحية واليهودية ، وتارة أخرى يضاف اليهما مثلا : البوذية والهندوكية والفارسية وبعض الفلسفات القديمة .. ولكن – كقاعدة ثابتة – تعتبر المسيحية واليهودية من المصادر الأساسية ، ويبدو واضحا أن السر فى التركيز على المسيحية واليهودية بالذات ، هو أن مجيىء الاسلام متفوقا على هاتين الديانتين الكبيرتين – ومن باب أولى على غيرهما من المذاهب الوثنية – جعل المفكرين من أتباعهما وهم من الكثرة بمكان ، يحرصون على تشويه صفحة الاسلام ، ويبذلون جهودا جبارة لطمس معالمه الوضاءة » ومنهجهم فى ذلك كمنهج فريق الكرة حين يتعاون أعضاؤه على تسجيل الهدف ، والهدف هنا هو محاولة ترسيخ فريتهم فى أذهان الناس ، فالكاتب منهم يسجل الفرية فى كتابه أو بحثه ، ويسير من بعده على هذا المنوال مع شىء من التحوير لا يمس جوهر الفرية.

ولسنا هنا بصدد عملية احصائية لأن المقام لا يتسع لها ، اذن فحسبنا أن نقدم بعض النماذج لمجرد العلم ، **فمن كتب المستشرقين والمبشرين اليهود والصليبيين مثلا :**

« أصول الاسـلام فى بيئته المسـيحية » تأليف الانجليزى « ر. بل » و « ملامح من التوراة فى القرآن » تأليف « ج. ووكر » و « اليهودية فى الاسلام » تأليف الانجليزى « ابراهام كاش » ..
أما عن أبحاثهم ومجـلاتهم وموسوعاتهم ودوائر معارفهم ، فقـد استوعبت الكثير والكثير مما لا يحصى له عدد ، ويكاد جميعهـا يركز على أن الاسلام من تأليف محمد ، ومن الأمور التى تستحق التفكه بها ـ كما جاء فى كتاب « التبشير والاستعمار » ـ للدكتورين الخالدى وفروخ : قول مبشر اسمه نلسن ، يزعم فيه « ان الاسلام مقلد ، وأن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية .. وسائر ما فيـه أخذ من الوثنية كما هو ، أو مع شيء من التبديل » والحق أن مثل قول هذا المبشر الصليبى الحاقد ، لا يدعو الى مجرد التفكه به ، بل يدعو الى السخرية من عقلية هذا المبشر المعتوه ، وأغلب الظن أنه لم يقرأ شيئا عن الاسلام الا فى كتب أقرانه من المبشرين الحاقدين الذين أعمى التعصب بصائرهم . فالاسلام منذ أول لحظة من تاريخه أعلنها حربا على الوثنية صريحة لا مراوغة فيها ولا هوادة ، الى جانب اعلانه عن وجود الخالق ووحدانيته فى دعوة صريحة أيضا لا هوادة فيها ولا مراوغة .. ثم ان الاسلام ـ بالاضافة الى دعوته الى وحدانية الله ، والى نبذ الوثنية واقتلاعها من جـذورها ـ أبان عن حقيقـة المسيحية ، وعرى ما شابها من خلط عجيب وزيف غريب ، بلا أدنى مجاملة ، كذلك قد أبان عن حقيقة اليهودية ، وعرى ما شابها من تشويه وفساد ، وأيضا بلا أدنى مجاملة .. انه الافلاس بعينه فى الفكر الصليبى والفكر اليهودى معا ..

● ان هؤلاء المبشرين والمستشرقين ـ صـليبيين كانوا أو يهودا ـ تجاهلوا حقيقتين ، مسلمتين ، فرضت عليهم أحقـادهم أن يتجاهلوهما :

ـ أولى الحقيقتين :

أن هنـاك أصولا مقررة مشتركة بين سائر هـذه الأديان

السماوية ، والمسيحية التى تلت اليهودية جاءت معقبا على شريعـة اليهود للكشف عن انحرافاتها بأيدى كهنتها ، والاسـلام ـ كخاتم الرسالات ـ جاء معقبا أيضا عـلى الشريعتين المسيحية واليهودية معا ، للكشف عن انحرافاتهما ، وتجريدهما من العبث الذى صيغ بعقول رجال الكهنوت ، أولئك الذين حاولوا اخضـاع الشريعتين لمقتضيات المصالح ..

ـ والحقيقة الأخرى :

أن الحملة المسعورة المتواصلة على الاسـلام على أيدى المبشرين والمستشرقين الحاقدين ، تؤكد عظمة الاسـلام ، وأنه ذات قيمـة حضارية كبرى ، فهو يخشى منه على المسيحية واليهودية معا ، فلو أن الاسلام دين تافه كما حاول هؤلاء الحاقدون أن يصوروه ، لما كان هناك ما يدعو الى مواصلة الحملة المسعورة عليه ، فالشيوعية مثلا ، مع أنها نحلة مادية ملحدة ترفض رفضا باتا الأديان السماوية ومنها المسيحية واليهودية ، الا أن الحملة عليهما منها متواضعة للغاية اذا قورنت بالحملة على الاسلام ، مـع أن الاسلام لا يرفض الاعتراف بهما ، ويعترف اعترافا صريحا برسوليهما : موسى وعيسى عليهمـا السلام ..

اذن فالعقدة المسيطرة على هؤلاء الكتاب الحاقدين على الاسلام ، منبعثها الخوف منه حاضرا ومستقبلا ، وهـذا الخوف كثيرا ما يطفح على كتاباتهم ، اما فى صورة انذار لأتباع ديانتيهما ، واما فى صورة تهديد للاسلام نفسه ، **فمثلا المستشرق الألمانى « كارل بيكر » يرى أن الاسلام لما انبسط فى العصـور الوسطى أقام سدا فى وجه انتشار النصرانية ، ثم امتد الى البلاد التى كانت خاضعة لصولجانها،** أما « جاردنر » ـ كما أشار كتاب « التبشير والاستعمار » ـ فمن رأيه ورأى كثيرين سواه : أن القوة التى تكمن فى الاسلام هى التى تخيف أوربا .. ونحن مضطرون الى أن نسقط من الحساب كتابات المغالين فى الحقد على الاسـلام من المبشرين الذين استعدوا أوربا

المسيحية على محو الاسلام من الوجود ، فهؤلاء تتحرك فى مشاعرهم رواسب الحروب الصليبية ، الى جانب رواسب الفشل الذريع فى مهمتهم التبشيرية ..

● ونعود الى ما سبق أن قلناه من قبل :

وهو أن موقف خصوم الاسلام من الفرية التى نحن بصددها .. فرية أن الاسلام « تركيب ملفق » كموقف فريق كرة القدم من الكرة داخل الملعب .. حيث يتقاذف أعضاء الفريق الكرة على أساس من التعاون على تسجيل الهدف ، واذا كان من المفروض علينا أن نسقط من الحساب مستشرقا يهوديا متعصبا وحاقدا معا على الاسلام مثل « جولد تسيهر » الذى يزعم فى كتابه « العقيدة والشريعة فى الاسلام » أن الأخلاق العالية والمثل الرفيعة فى الاسلام ، انما أخذها الاسلام من الديانات التى اعترف لأصحابها بالرسالة .. فلا يمكننا أن نسقط من الحساب كتابات مثل « أرنولد توينبى » فى مؤلفه الضخم « دراسة للتاريخ » اذ يحاول أن يهبط بمستوى الاسلام الى الدرجة التى تجعله على قدم المساواة مع المسيحية والهندوكية والمهايانا « من أديان الشرق الأقصى وبخاصة اليابان » وهذه هى الأديان الأربعة العليا فى نظر المؤلف ، فهى مجرد ألوان أربعة لمنهج واحد ... فهذا المستشرق استطاع أن يظفر بشىء من الاحترام والتقدير فى العالم العربى الاسلامى ، وفى الحقيقة لا كبير فرق بينه وبين زملائه من المستشرقين المتعصبين ، وهذا الفارق المتواضع يتمثل فى أن غيره يحاول تدعيم الفرية بأسلوب صريح جرىء ، بينما هو يحاول نفس المحاولة بأسلوب فيه كثير من اللف والدوران فى اطار من البحث العلمى المدعى ..

● انه لا داعى للاستطراد .. ليكون لنا موقف من فرية « اليونسكو » ولنجيب عن السؤال الذى سبق أن طرحناه : هل الاسلام تركيب ملفق من المذاهب اليهودية والمسيحية ، مضافا اليها

التقاليد القومية الوثنية العربية التى أبقى عليها كطقوس قبلية .. تجعلها أكثر رسوخا فى العقيدة ؟ .

واذا كان اتهام الاسلام بأنه نسخة من اليهودية والمسيحية معا — مع شىء من التصرف — أو من احداهما على انفراد كما يحلو لاتباع كل منهما .. اذا كان مثل هذا الاتهام مستساغا قبوله — على الاقل — لدى العقلية الأوربية لارضاء غرورها .. فلا أظن أن اتهام الاسلام بأخذه من الوثنية أو ابقائه على شىء من آثار الوثنية مستساغ حتى لدى أقل الأوربيين الماما بتاريخ الحضارات الانسانية ..

ومع ذلك فليس عجيبا أن يكيل أمثال المستشرق الفرنسى.. الاتهامات للاسلام جزافا فى موسوعة « اليونسكو » ، وانما العجيب أن لا يحترم عقله ، فقد زعم : أن الاسلام احتفظ فى ركن من أركان الكعبة بالصنم الرئيسى للمكيين .. ألا وهو الحجر الأسود .. وأعجب من هذا المستشرق الفرنسى ، مستشرق آخر ألمانى له شهرته فى عالمنا ، هو « كارل بروكلمان » ففى مؤلفه المعروف : « تاريخ الشعوب الاسلامية » وفى الجزء الأول منه ، يسجل على فكره جهلا وغباء ، اذ يقول : وعندما بلغ محمد الكعبة « فى فتح مكة » طاف بها سبعا على راحلته ، لامسا الحجر الأسود بعصاه فى كل مرة ، وبذلك ضم هذا الطقس الوثنى الى دينه ..

ان جهل هذين المستشرقين واضح من اطلاق لفظة صنم على الحجر الأسود كما ذكر « جاستون فييت » واطلاق لفظة « وثن » عليه كما ذكر « كارل بروكلمان » فالصنم يطلق على ما كان على شكل الانسان من معدن أو خشب ، والوثن ما كان شكله من حجر ، أما النصب فصخرة غير ذات صورة معينة ، وينطبق ذلك على الحجر الأسود .

والمعروف أن « البيت الحرام » منذ أن رفع ابراهيم قواعده واسماعيل ، كان خاليا من كل الأصنام والأوثان ، وكان الحجر الأسود أحد معالم هذا البيت العتيق ، لا صلة له على الاطلاق

بالوثنية ، فاذا جاء الرســـول فى فتح مكة فقضى على الأصنام والأوثان قضـــاء نهائيا داخل البيت الحرام ، ثم أبقى عـلى الحجر الأسود ، فانما أبقى عليه ، لا بصفته وثنـا أو صنما ، بل بصفته أحد معالم البيت التى أقرها ابراهيم الخليل من قبل ٠٠ اذن فقيمة الحجر تاريخية فحسب ٠٠ لا دينية ٠٠

ان هذا الحجر – كما يرى الامام محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا – لا مزية له فى ذاته ، فهو كسائر الحجـــارة ، وانما استلامه أمر تعبدى فى معنى استقبال الكعبة ، وجعل التوجه اليها توجها الى الله الذى لا يحدده مكان ولا تحصره جهة من الجهات ٠٠ وكلمات عمر المشـــهورة : « والله انى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ٠٠ ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يقبلك ما قبلتك » ٠٠ مثل هذه الكلمات المتواترة كفيلة بأن تنفى عن الحجر الأسود أدنى صلة بالوثنيـــة ، لكن يبدو أن هـــؤلاء المستشرقين لا يفقهون ولا يحاولون أن يفقهوا ٠٠ ويبدو أيضا أنهم فى كتاباتهم متأثرون الى حد ما برواسب الوثنية التى لا يزال لهـــا أثرها فى المسيحية حتى اليوم ، فالمرحـــوم الدكتور محمـــد حسين هيكل ، يحدثنا فى مؤلفه القيم « حياة محمد » فيقول : « من ذلك ما يراه الذين يزورون كنيسة القديس بطرس فى رومية ٠٠ فهم يرون قدم التمثال المقام بها للقديس ، تبريها قبلات عبـــاده المؤمنين ٠٠ ثم تضطر الكنيسة الى تغييرها كلما انبرت » ٠٠ وللقـــارىء أن يذكر بعد ذلك ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حين رأى اقبال الناس على الشجرة التى تمت تحتها بيعة الرضوان بين الرسول والمجاهدين ٠٠ للتبرك بها ، أمر بقطعها ، حتى لا تفتتن الأجيال القادمة بها .

● ان جوهر الفرية التى نحن بصددها ، هو اتهام الاســـلام بأنه تارة نسخة من اليهودية ، وتارة ثانية بأنه نسخة من المسيحية ، وتارة ثالثة ، بأنه منهما معا مع شىء من التصرف ٠٠ وما الى ذلك من الهذيان ٠٠ هذا الاتهام تكرر – على وجـــه التقريب – فى كل كتابات المبشرين والمستشرقين ، لكن أيضـــا بلا أدلة أو براهين أو

حتى حيثيات لهذا الاتهام ، فكلهم على وجه التقريب يقذف بالاتهام جزافا وهو يلهث لشعوره بالقصور حتى فى صـــياغته للتهمة ٠٠ انه أشبه ما يكون باللص الذى يلقى بما حمل على عاتقه على قارعة الطريق لينجو بنفسه ، لان حسبه انه أشبع رغبته فى السرقة ٠٠ **فمستشرق مثلا « كبروكلمان » الذى سبق أن أشرنا الى مؤلفـه : « تاريخ الشعوب الاسلامية » يقول: « ولم يكن عالم محمد الفكرى من ابداعه الخاص الا الى حد صغير ٠٠ فقد انبثق فى الدرجة الاولى عن اليهودية والنصرانية ٠٠ فكيفه محمـــد تكييفا بارعا وفقـا لحاجات شعبه الدينية »** ٠٠ هكذا ألقى الاتهام بلا أدنى دليل ٠٠ لقـد كنا نظن أن مثل هذا المستشرق يحترم عقله كمفكر على الأقل ٠٠ فضلا على أن يكون منصفا كمؤرخ ٠٠

العجيب أن هؤلاء المبشرين والمستشرقين يكادون يتفقون عـلى عدم أصالة الاسلام ، لكنهم يختلفون الى درجـة التخبط المزرى فى المصادر التى استقى منها أصوله وفروعه ، وهذا التخبط هو الذى يحمل فى طياته أن الدعوى المزعومة لا أساس لها من الصحة ، فاذا أضفنا الى ذلك أن دعـــواهم بلا أدلة وبلا براهين ، كان من اليسير تعريه هذه الدعوى لترتد على أدبارها تجر أذيال الخيبة ٠٠ وأكثر ما يعول عليه أصحاب هذه الدعوى ، أن المسيحية ، وكذلك اليهودية سابقتان على الاسلام ، وهذا يكفى فى وهمهم لاثبـــات دعواهم ، ومثل هـــذا المنطق لا يقره البحث العلمى القائم على أســـاس من النزاهة والتجرد عن الهوى ٠٠

وينسى أصحاب هذه الدعوى المفتراة أن الاسلام ظهر فى فترة انحلال بالنسبة لليهودية والمسيحية وغيرهما ، يقول « سيد أمير على » فى مؤلفه : « روح الاسلام » : « كانت بداية القرن السابع – كما قيل بحق – فترة انحـــلال وتفكك من النواحى القـــومية والاجتماعية والدينية ، كما كانت الأحداث التى تعتمل فى هـــذا القرن من قبيل الأحداث التى تقتضى دائما ظهور دين سماوى يجمع شتات القوى المتفرقة ، ويردها جميعـــا الى الطريق السوى الذى

لا معدى عنه للتقدم الروحى نحو « توحيد الوجهة فى العبادة بين الناس » وكانت هذه الأحداث تشير الى ضرورة نزول دستور سماوى لاقامة حكومة دينية أدق نظاما مما جاءت به اليهودية أو النصرانية » . فهذه الفترة الانحلالية قبيل ظهور الاسلام ، مما لا يستطيع أصحاب الدعوى انكاره ، وقد اعترف القرآن بأن مصدر الانحلال بالنسبة لليهودية والمسيحية هو العبث الذى أصاب جوهرهما على أيدى الكهنة لحساب السياسة والهوى .. فكيف يستساغ منطقيا أن يستعير الاسلام بعض كيانه منهما ؟

ومما هو أدهى وأمر ، أن يعمد أصحاب الدعوى الى تجاهل الفروق الجوهرية بين الاسلام من ناحية ، وبين الديانتين وبخاصة المسيحية من ناحية أخرى ، أن يحرصوا على ابراز الاسلام فى صورة مزريه ، مع اعترافهم بأنه نسخة من اليهودية أو نسخة من المسيحية ، أو نسخة منهما ، مع شىء من التحوير والتصرف ... فى أية وجهة ..

فالذين يزعمون أن الاسلام نسخة من اليهودية مع شىء من التصرف ، يتجاهلون شيئا ذا أهمية فى مجال البحث العلمى ، هذا الشىء ، هو أن مصدر اليهودية كتابها المقدس « العهد القديم » الذى يعترف به اليهود ، لكن التاريخ يؤكد أن هذا « العهد القديم » لم يكن على هذه الحال التى نراها عليه الآن الى زمن المسيح عليه السلام . ويرى الدكتور « الحينى » فى مؤلفه « فى العقائد والاديان » أن نصوص بعض الأناجيل تدل على أنه كان لموسى عليه السلام كتاب سمى « التوراة » ولكن البحث العلمى والدراسات التى قامت حول أسفار العهد القديم تذهب الى عكس هذا الاتجاه .. والعلماء يعتمدون على أدلة كثيرة منها نصوص فى العهد القديم نفسه ... وهذا يقطع أن فى التوراة فى وضعها المعروف لنا حاليا ما لا يمكن نسبته الى موسى .. ويسوق المؤلف قول الدكتور فؤاد حسنين فى مؤلفه « التوراة » : « ليست التوراة التى بين أيدينا تأليف شخص واحد بعينه » .

ثم ان تصور الاله فى سفر التكوين يختلف عنه فى سفر الخروج أو فى سفر عاموس ، أو كما يقول الدكتور الحينى فى مؤلفه : ان تصور الاله عند اليهود تطور مع تطور حياتهم بالرغم من أنه ظل الها واحدا .. فهو اله حرب كما جاء فى الأسفار الخمسة : التكوين والخروج واللاويون والعدد ثم التثنية ، ثم هو بعد ذلك اله سلم ، ثم اله متعال حاكم للعالم .. ثم ان العقيدة اليهودية – كما بشر بها الأنبياء والرسل – شىء ، وتصور الاسرائيليين وعقائدهم شىء آخر .. ذلك لأن بنى اسرائيل كانوا قوما اعتنقوا الى جانب التوحيد .. عقائد باطنها التعدد .. لتأثرهم بمن حولهم من الأمم الوثنية وذلك حين يزول عنهم تأثير الأنبياء ..

لابد من اشارة سريعة الى « التلمود » .. وهناك – أولا – فرق بينه وبين العهد القديم ، الذى يضم الأسفار التى كانت فيما ترى اليهودية ثمرة الوحى ، أى الشريعة والتعاليم المدونة الآتية عن طريق « يهوه » الى بنى اسرائيل أو شعبه كما يزعمون .. أما التلمود فهو الأحاديث الشفوية التى سجلت بعد ذلك ، والتى كانت ثمرة النظر ودراسة الأسفار التى جاءت عن « يهوه » وهذا ملخص رأى الدكتور الحينى ، ونحن لا يهمنا المراحل التى مر بها «التلمود» ومدارسها ، لكنا مضطرون أن نتوقف أخيرا عند الفترة الأخيرة لتطورات التلمود ، هذه الفترة كانت بزعامة مدرستين ببابل ، وعرفت بعصر « الماجدين » وبدأت من أواخر القرن السادس الميلادى الى النصف الاول من القرن الحادى عشر ، وفيه اعترف اليهود بزعماء هاتين المدرستين مرجعا دينيا لهم ..

فالدكتور « بوكيه » فى مؤلفه « كتب العالم المقدسة » يزعم أن فترة « الماجدين » هذه ، وما أثر عن زعمائها من نظرات دينية وأساطير .. هى التى غذت محمدا – صلوات الله عليه – ليظهر دين الاسلام ، الذى يقوم كالدين اليهودى على التوحيد .. وقد أعفانا من الرد على مثل هذيان هذا المستشرق المدعى ، الأستاذ الدكتور الحينى ، اذ يقول فى مؤلفه القيم : « فى العقائد والأديان » : « هذه

الدعوى التى يسوقها الدكتور « بوكيه » والتى ساقها المستشرقون من قبله ، قد فندها المؤرخون ... ولست فى حاجة الى التدليل بعد ذلك على بطلان هذا الرأى ، وبخاصة أن الدكتور « بوكيه » شديد التعصب على كل ما يعارض المسيحية .. أضف الى ذلك أنه رجل من رجال الدين المسيحى تربى وتعلم فى المدارس الدينية ، ومتأثر بالجو الذى عاش فيه .. ولكن على الرغم من هذا كله .. وعلى الرغم من تفاهة هذه الدعوى ، فالبحث العلمى النزيه يوجب أن نقول : ان الصلة التجارية التى كانت بين العرب وبين الشام ، كانت تقوم على فترات خاطفة .. لا يمكن – مهما سلمنا بامكان التأثير – أن يتأتى منها هذا التراث الاسلامى الهائل ، ذلك لأن الحقائق التاريخية تدل بوضوح تام على أن فكرة التوحيد بالصورة التى أتى بها القرآن لم تكن موجودة عند العرب قبل ظهور نبى الاسلام .. ونحن اذا نظرنا الى مجتمع مكة نجده مجتمعا لا يأخذ الا بالوثنية .. ومن ثم فلا سبيل الى اقامة الدعوى على هذا الأساس .. واذا نظرنا الى الجماعة اليهودية فى يثرب نراهم يهودا بالاسم .. عربا بكل ما يدل عليه هذا اللفظ .. كانوا عربا من حيث التفكير .. ومن حيث منهج الحياة .. وليس أدل على مقدار جهلهم بالعقيدة اليهودية من وصف القرآن لهم.. كما جاء فى سورة « النساء » آية ٥١ : « **ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب .. يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** » .. فيهود يثرب بالتأكيد كانوا وثنيين فعلا.. ولا يعرفون من أمور دينهم ما يجعلهم فى مستوى يتميز عن غيرهم.. أضف الى ذلك : أنه لا يمكن أن يزعم زاعم أن كانت لهؤلاء اليهود العرب صلات – قوية كانت أو ضعيفة – باليهودية فى بابل ..

● هذا ويزعم « كارل بروكلمان » فى الجزء الأول من موسوعته : « تاريخ الشعوب الاسلامية » « أن محمدا – صلوات الله عليه – قد اقتبس عن التوراة فكرة الخطيئة الأصلية ، وعلم أن الله قد بعث الى كل شعب فى أوقات معينة – ابتغاء تحذير الجنس

البشرى من الخطيئة ، وبخاصة خطيئة عبادة الأوثان – بعث برسل أوحى اليهم بمشيئته عن طريق الملك جبريل » .

يبدو أن النيل من الاسلام ضريبة مفروضة على كل مبشر أو مستشرق يتصدى للكتابة عن الاسلام ، لذلك كان أقرب الى المحال العثور على مؤلف واحد فى هذا الصدد ، يلتزم – ولو بشىء يسير – بالحيدة العلمية فى مجال البحث ، وحسبنا من الرد على افتراء « بروكلمان » تعقيب موجز عليه للأستاذ الدكتور عمر فروخ ، اذ يقول :

« الخطيئة الأصلية .. أو الخطيئة المميتة .. أو الخطيئة باطلاق ، هى : « مفهوم » مسيحى ولا صلة له بالاسلام .. ان خروج آدم من الجنة مع حواء لم يحمل الجنس البشرى اثما معينا.. ولقد أخرج آدم من الجنة قصاصا له هو .. أما سائر المسلمين فلا يعذبون عن آدم ولا بسبب آدم .. والنبوة فى الاسلام ليست نتيجة لخروج آدم من الجنة ، بل هى « ظاهرة اجتماعية » اذ أن الأمم تحتاج بين عصر وعصر ، الى من يهديها ، ويدلها على الصراط المستقيم » .

● قد يكون من حق المستشرقين أن يقبلوا أو يقرروا أن المسيحية فرع منبثق عن اليهودية ، ذلك لان المسيحية ولدت ونشأت بين أحضان اليهودية لكن ليس من حق هؤلاء المستشرقين المسيحيين أن يقولوا أو يقرروا أن الاسلام نسخة من اليهودية أو المسيحية أو هما معا ..

ويشير المرحوم الأستاذ العقاد فى مؤلفه : « ما يقال عن الاسلام » الى أساس الخطأ الذى يقع فيه هؤلاء المستشرقون وهو اعتقادهم : أن اليهود مصدر العقائد الدينية التى احتوتها التوراة ، وأنهم – أى اليهود – هم الذين تلقوا وحيها لأول مرة من أنبيائهم غير مسبوقين اليها فيما سلف .. وقد سلف قبلهم ، وفى عهود أنبيائهم ، كثير من الرسالات والعقائد مذكورة أو ملحوظة فى القرآن الكريم ، وليس لها ذكر فى أسفار التوراة .. ثم يقول :

« والأمر لا يحتاج الى عنـاء لاظهار وجود الخطأ فيـه ، فان مراجعة التوراة أيسر مراجعة ترينا : أن اليهود تلقوا أهم العقائد الكونية ، وأهم التعاليم الشرعية ممن تقدم أنبياءهم فى الزمن ، بل من الشعوب التى عاشوا بينها ، وكان فيها أناس من أتباع الرسل الأقدمين ٠٠ فالى أى نبى من أنبياء بنى اسرائيل يسند اليهـود عقائدهم فى سفر التكوين وهو جماع عقائدهم الكونية ؟

« ان التوراة الباقية اليـوم تبتدىء بسفر التكوين ٠٠ ولا تسنده الى أحد من بنى اسرائيل ، ولا حاجة بعد ذلك الى القول بأن عقائده سابقة للنبوءات الاسرائيلية ، وأن اليهود تعلموه من حيث يستطيع كل من شاء أن يتعلمه أو ينقله من مصـادره الأولى ٠٠ وتأتى أسفار الشريعة ـ بعد سفر التكوين ـ وليس منها ما هـو مسند الى نبى قبل موسى عليه السلام ، ولكننا نقرأ فى الأسفار أن الكليم كان يتعلم التبليغ من نبى عربى تسميه التوراة « يثرون » فأعجب العجب بعد ذلك أن يقرأ المؤرخون هذا فى كتب التوراة ثم يلج بهم الاصرار على أصالة اليهودية ، واعتبار الاسلام والمسيحية فرعين من هذه الشجرة ، لا ينبتان على غير جذورها ، وهى كمـا رأينا فرع من أصل قديم بل من عدة أصول ٠٠

« على أننا نرجع الى العقائد الاسلامية ٠٠ فلا نرى بينها عقيدة واحدة تتفرع على عقائد اليهود ، كما دانوا بها من قبل ، ويدينون بها الى هذه الأيام ٠٠ وليس أبعد من الفارق بين العقائد الاسلامية والعقائد اليهودية كما تناقلوها عن التوراة والتلمود فى كل أصل من أصول الايمـان : عن الله ، أو عن النبوة ، أو عن الحسـاب والعقاب ٠٠ » .

وبعد أن قدم الأستاذ العقاد الأدلة التاريخية والعلمية القاطعة على ما قرره ، قال :

« فكيف تكون هذه العقائد فرعا عـلى تلك الشجرة ، وهى تخالفها تلك المخالفة فى أصول الديانة وحقائق الايمان بالربوبيـة والنبوة وموازين الحساب ، والتكليف ، وحرمات العبادة والتقديس؟

ان جاز التشبيه بالأصول والفروع ، فقـد يجوز أن يقـال : ان الاسلام شجرة أخرى تحمل الثمرات التى حملتها اليهودية بعـد تهذيب وتجويد ، وان ثمرات الشجرة الاسلامية لا تحملهـا تلك الشجرة ، ولا يتأتى أن تحل فيها محل الفروع من الجذور ٠٠ ولكن لا يجوز أن يقال : ان اليهودية كانت جذرا أصيلا للعقائد الاسلامية، ولو كانت هى المصدر الوحيد للعقائد المشتركة بين الديانتين » .

ويختم الأستاذ العقاد كلامه بقوله :

« ان المؤرخ الغربى ـ وهـو على اعتقاده الدينى ـ لا يطـالب بايمان المسلم ، فيما اعتقـد من ربوبية أو نبوة ، أو تكليف ٠٠ ولكنه مطالب عند البحث فى التطور الطبيعى أن يمسك عليه عقله ، وأن يترفع به عن قبول الباطل البين ٠٠ فى جلائل المسائل ، وهى مسألة العقيدة والايمان ، وليس من الحلال فى شرعة العقل ـ كائنا ما كان دين العاقل ـ أن يقيم الشجرة البـاسقة على منبت الفرع المبتور ٠٠ » .

* * *

● وماذا عن الشطر الآخر من الاتهام : الاسـلام نسخة محورة من المسيحية ؟

ان الحملة المسـعورة الموتورة التى نراهـا مبثوثة فى بعض كتابات المبشرين والمستشرقين الصليبيين ، ضـد الاسلام ، وفى هذه الحملة من البذاءة ما فيها ٠٠ هذه الحملة تجعلنا أكثر استخفافا بسائر التهم التى صاغتها عقولهم ٠٠ أما شـتائمهم فهى أولى بأن نسقطها من الحساب ، ونحن نستطيع أن نتحدى أى انسان يدلنـا على لفظة سباب موجهة ضد المسيحية أو المسيح عليه السلام ، فى أى من الكتابات الاسلامية ، لأنه لا يلجـأ الى السباب الا من كان حاقدا أو موتورا أو مرتابا فى عقله وتفكيره .

هل من المعقول أن نقيم وزنا لكلمات تقايأها حقـدا أمثال

المسيو « كيمون » فى كتابه : « باثولوجيا الاسلام » : « ان الديانة المحمدية جذام نشأ بين الناس .. وأخذ يفتك فيهم فتكا ذريعا ، بل هى مرض مريع وشلل عام ، وجنون ذهولى .. » .

وهل من المعقول أن نقيم وزنا لكلمات تقايأها حقدا وحمقا وغباء ، أمثال « جورج سيل » الذى ترجم القرآن فى أوائل القرن الثامن عشر ، وصدر ترجمته بالسباب والتهكم على شخصية الرسول — صلوات الله عليه — وضمن سبابه وتهكمه بألفاظ نابية مقذعة ، لا يتفوه بها أحط درجات السوقة .

أجل نحن لا نقيم وزنا لهؤلاء الحاقدين الذين ازدحمت مؤلفاتهم بالشتائم ، وحسبنا أن يسجلوا على أنفسهم افلاسهم فى مجال البحث والمحاجة ، وحسبنا أن يكون لنا موقف مع الذين اتهموا الاسلام بأنه نسخة محورة من المسيحية .. هؤلاء الذين تزيوا بأزياء المؤرخين والباحثين ، دون أن يكون لهم نصيب يذكر من ضمائر المؤرخين ونزاهة الباحثين ..

ويبدو أن الفكرة المسيطرة على تفكير هؤلاء : أنه ما دام من المتفق عليه أن المسيحية نسخة من اليهودية ، فلماذا لا يكون الاسلام نسخة أيضا من المسيحية ومتأثرا بها الى أبعد الحدود .. اذن فالمسألة لديهم ليست فى موضع البحث عن الحقيقة أو الوصول الى الحق ، وانما فى موضع الحسد والعناد ليس أكثر من ذلك .

« ان أسفار العهد الجديد — أى الأناجيل — لم تتخذ صورتها الحالية فى القرن الأول ، وان النصوص الدينية كانت فى نقلها تعتمد على الرواية الشفوية ، ثم أخذت فى القرن الثانى وبدء القرن الثالث فى الظهور . وتوضع لها الأسس التى يعرف بها الصحيح من الزائف والمشكوك فيه .. ولكن الخلاف بين المسيحيين ظل قائما بين أيها يعتمد من الأسفار وأيها يستبعد ، وأى الأسفار يتضمنه الكتاب المقدس .. حتى اتفق عالم الشرق والغرب المسيحى بعد المجمع المقدس المنعقد فى سنة ٦٩٢ م على الوضع الحالى للعهد الجديد .. ولكن بالرغم من هذا الاتفاق على الأسفار .. فقد ظل

الخلاف قائما بين المسيحيين فى مسائل ذات أهمية أساسية فى العقيدة .. كما لعب الخلاف بين الكنيستين : الشرقية والغربية دورا هاما فى الحياتين السياسية والعقائدية » .

هذا الرأى ليس رأينا ، ولا رأى كاتب مسلم آخر ، بل هو ملخص رأى لكاتب مسيحى من أشد المتحمسين لعقيدتهم المسيحية ، وأيضا من أشد المتعصبين ضد الاسلام ، انه الأستاذ بوكيه الذى سبقت الاشارة اليه ، وقد لخص رأيه الدكتور الحينى فى مؤلفه : « فى العقائد والأديان » .

« كانت الديانة المسيحية فى ذلك الوقت — أى فى وقت ظهور محمد — قد ذهبت شيعا مختلفة لكل شيعة قوانين تناقض نفسها.. وحتى اليوم ، نرى الكنيسة المسيحية قد تفرقت تحت عدة أسماء ، لا تشبه فى شىء ما كانت عليه فى القرن السابع ، وكان بعض العقائد لا يتفق فى شىء مع ما جاء به المسيح ، على الرغم من قرب العهد .. فكانت تلك العقائد فى نظر محمد شيئا لا يقبله العقل .

« ومن هذه الشيع : السابليون .. وكانوا يقولون : ان التثليث يشمل « الأب والابن وروح القدس » شخص واحد ، وتكون جميعا مادة واحدة ، كما يتكون الانسان من جسم وروح وعقل باطنى ، والأربيون الذين قالوا : ان المسيح ابن الله ، ولكنه منفصل عنه ، وأقل منه ، والنسطوريون : الذين يرون أن للمسيح طبيعتين مختلفتين : الهية وانسانية .. ولم تكن مريم الا أمه .. واليوتيشيانيون الذين يقولون : ان عيسى هو الله قبل التجسد .. وبشر أثناء التجسد فقط .. والكلوريديون .. وهم شيعة من السيدات كن يعبدن مريم العذراء ، والمريميون .. وكانوا يقدسون التثليث .. فالله الأب .. والله الابن .. والله الأم مريم .. وشيع أخرى عديدة لها معتقدات متباينة كل التباين .

وهذا كلام لا ينسب الى مسلم ، بل ينسب الى كاتب مسيحى شديد التعصب ضد الاسلام ، اسمه « ر. ث. بودلى » نقلناه عن مؤلفه : « الرسول » الذى ترجمه الى العربية الأستاذان « محمد

فرج » ، وعبد الحميد جودة السحار » وقامت بنشره في القـــاهرة لجنه النشر للجامعيين ··· وحسبنا أن نقف طويلا عند عبـــارة المؤلف : فكانت تلك العقائد – أى المسيحية – فى نظر محمد شيئا لا يقبله العقل ·· اذن فكيف يقبل العقل أن يكون الاسلام نسخة من عقائد اعتبرها رسول الاسلام شيئا لا يقبله العقل ؟

« يوجد ضغط متزايد يذهب الى أنه يجب عـــلى رجال الدين المتحررين أن يحددوا أقوالهم ، وماذا يعنون على وجه الحقيقة حينما يستخدمون النصوص الموروثة عن ألوهية عيسى ، وها هى ذى بعض الأشـــياء التى لا تعنى – ولا يمكن أن تعنى – نسبة الألوهية الى عيسى :

أ – لم ينسب عيسى الى نفسه الألوهية ·· ومن الجائز أنه سمح لنفسه أن ينادى بالمسيح ·· ولكنه لا يوجد مطلقا فى أقواله الثابتة الا ما يشير الى أن صلته الشعورية بالله ، هى صلة انسان بربه ·· أما أقوال الانجيل الرابع التى تذهب الى أبعد مما تذهب اليه أقوال الأناجيل الثـــلاثة ·· فلا يمكن النظر اليها على أنهـــا تاريخية ··

ب – يستتبع الاعتراف بأن عيسى انسان بكل ما يدل عليه اللفظ ، وأنه ما هو الا جســـد بشرى ·· أنه روح بشرية عقـــلا وارادة ··

ج – الافتراض أن روح عيسى ســـابقة فى الوجود ممـــاثل للزيغ ، لأنه ببساطة لا أساس لمثل هذه النظريه الا اذا قلنا : ان جميع أرواح البشر ··وجدت فى العالم قبل ميلادهم ، ولكن ليس هذا هو الوضع المسيحى المقبول عادة ··

وهذا الكلام ثالثا لا ينسب الى مسلم ، بل الى مسيحى ·· بل الى مسيحى غير عادى ·· انه رجل من رجال الدين المسيحى ·· ويحمل أرقى المؤهلات العلمية ·· هو الدكتور راشدل ·· أسقف كارليل ، جاء كلامه هذا ضمن خطاب القاه فى مؤتمر شهده عدد كبير من رجال الدين فى « أكسفورد » وكان هو رئيس المؤتمر الذى

انعقد سنة ١٩٢١ م ·· وقد لخص الخطـــاب الاســـتاذ الدكتور الحينى ، نقلا عن مجلة « اسلامك ريفيو » العـــدد الثامن من المجلد التاسع ··

بل ان كلمة الافتتاح التى ألقاها « هـ·و·أ· ميجر » جاءفيها:

« يجب أن يكون مفهوما بوضوح أن عيسى لم يدع فى الأناجيل أنه ابن الله بالمعنى الجسدى ، كما يوحى بذلك القصص عن مولـده من عذراء ·· كما أنه لم يدع أنه ابن الله بالمعنى « الميتافيزيقى » كما تذهب الى ذلك عقيدة مجمع « نيقية » ·· ادعى أنه ابن الله بالمعنى العادى ، بالمعنى الذى يكون البشر أبناء الله ·· باعتبار أنهم ذوو صفة روحية بالله ·· وقادرون على أن يعملوا بالأسس الخلقية التى بها يعمل الله » – مجمع نيقية عام ٣٢٨ م ·

لكن حين يقول الاسلام بهذا القول يقيم المستشرقون الدنيا ويقعدونها ، ولا حيلة لهم فى دفاعهم الا التنكيل بالاسلام ، ويكيلون له التهم جزافا ، وما أيسر عليهم أن يقولوا : انه نسخة محرفة أو محورة – دون اعتبار لمنطق – من المسيحية ، ولو أنهم قالوا : نسخة مهذبة من المسيحية ، لأضفوا على منهجهم فى البحث شيئا من التعقل، ولكن هؤلاء أبعد ما يكونون أن يضفوا على منهجهم أدنى شىء من الحياد فضلا عن التعقل ··

هناك مسألة جديرة بالاهتمام ، يتجاهلها دائما الذين يعرضون أنفسهم لكتابة التـــاريخ ، من المبشرين والمستشرقين الصليبيين ، أولئك الذين يصرون على اتهام الاســـلام بأنه نسخة محـــورة من المسيحية · يتجاهل هؤلاء الأوضاع التى كانت عليها المسيحية ابان ظهور الاسلام ، ولو سلم لهم – جدلا – بأن نبى الاسلام قد اقتبس الاسلام من المسيحية ، فلابد أن تكون المسيحية التى اقتبس منهـا بوصفها الراهن حين فكر فى ذلك ، فاذا اتضح بعد ذلك أن الفارق جوهرى بين الاسلام والمسيحية ، فلن يكون هناك مكان لفريتهم ولا نقول : لحجتهم ·· لأنه لا حجة لهم ··

يقول الأستاذ العقاد فى مؤلفه : « حقائق الاســـلام وأباطيل خصومه » !

« وظهر الاسلام وفحوى العقيدة الالهية ــ كما تطورت بهـــا الديانات المسيحية ــ أن الله الاله واحد من أقانيم ثلاثة هى : الآب والابن والروح القدس ، وأن المسيح هو الابن من هذه الأقانيم ، وهو ذو طبيعة الهية واحـدة فى مذهب فريق من المسيحيين ، وذو طبيعتين : الهية وانسانية فى مذهب فريق آخر ..

« ومن البديهى أن الباحث الذى يريد تطبيق علم المقارنة بين الأديان ، على المسيحية والاسلام ، مطالب بالرجوع الى حالة الديانة المسيحية حيث ظهرت دعوة الاسلام نسخة محرفة من المسيحية ، الا اذا اعتقد أن نبى الاسلام أخذ من المسيحية كما عرفها فى بيئتهـــا العربية ، وفيما اتصل به من البيئات الأخرى حول جزيرة العرب ، ومهما يكن من تطور العقائد المسيحية فى سائر البيئات ومختلف العصور ، فالعقيدة المسيحية التى يجوز لصاحب المقارنة بين الأديان أن يجعلها قدوة للاسلام ، انما هى عقيدة المسيحيين فى جزيرة العرب وما حولها ..

وبعد أن استشهد العقاد بما يؤيد رأيه ، بأقوال « جــورج سيل » مترجم القرآن الى الانجليزية ، قال :

« كانت عقائد الفرق المسيحية فى جزيرة العرب ، وفى العالم المترامى حول جزيرة العرب على هذا النحو الذى وصفه رجل متعصب على الاسلام ، لا يتهم بمحاباته ، ولا يظن أن يتجانف على المسيحية وهو قادر على مداراتها ، ومن الواضح المبين أن عقائد الفرق المسيحية على ذلك النحو ، لم تكن مما يغرى الاعجاب أو مما يدعو الى الاقتداء .
ومن الواضح المبين أن موقف الاسلام كان موقف المصحح المتمم ، ولم يكن موقف الناقل المستعير بغير فهم ولا دراية ...
« فقد جاء الاسلام بالدعوة الى اله منزه عن لوثة الشرك ، منزه عن جهالة العصبية وسلالة النسب ، منزه عن التشبيه الذى تسرب

من بقايا الوثنية الى الأديان الكتابية .. فالله الذى يؤمن به المسلمون اله واحد لم يكن له شركاء « وسبحان الله عما يشركون » .

والواقع أن العقاد رحمه الله ــ لم يكن فى حاجة الى الاستشهاد برأى أحد ، الا أن اختياره « لجورج سيل » بالذات كان اختيـــارا موفقا ، لأنه من ألد أعداء الاســـلام » والذى قرأ مقدمته لترجمة القرآن الى الانجليزية فى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى .. يدرك الى أى درك من الانحطاط بلغه .. لقد اختار الفاظه فى الهجوم على نبى الاسلام من قاموس السوقة ، والصبية الذين لا يعقلون .. ولا يدركون ما يتفوهون به من الفاظ .. ومثل هذا الانجليزى الصليبى المتعصب لا يمكنه أن يجامل الاسلام ، ولا أن يتجنى على المسيحية .. والحق أن اضطراب العقيدة المسيحية ابان ظهور الاسلام ثابت بثبوت الشمس فى رائعة النهار .. واذا كان الكثير من المؤرخين الصليبيين يتجاهل مثل هذه الحقيقة ، الا أنه فى نفس الوقت لا يقوى عـــلى انكارها .. وبقى أن نمسك القلم عن الخلاف بين الاسلام والمسيحية فى كثير من الفروع ، لأن الخلاف فى الأصل يغنينا ــ وهو ثابت ــ عن البحث فى الخلاف فى الفروع ..

ان الاعتقاد بالله فى الاسلام ــ كما يقول العقاد فى : « ما يقال عن الاسلام » غير مستعار من ديانات الأمم الأخرى ، وأن الدعوة الى الايمان بالله كان يمكن أن تظهر حيث ظهرت ، ولو لم تدخـــل الى الجزيرة العربية عبادة من خارجها ، لأن وحدانية الله فى الاسلام لم يسبقها مثيل لها فى صفة الوحدانية التى لا هوادة فيها ، ولا فى غيرها ، من جملة الصفات المستفادة من أسماء الله الحسنى ..

ألم ينصف الإسلام المرأة ؟؟

يزعم « جاستون فييت » فى موسوعة « اليونسكو » أن دور المرأة فى المجتمع الاسلامى على جانب كبير من الضآلة ، وأن ضآلة مرتبتها كانت أمرا مسلما به فى جميع مظاهر الحياة .. حتى أنه فى مسألة الميراث لم يكن نصيبها الا نصف نصيب الرجل ...

ونحن لا ندرى سببا لافتراءات المبشرين والمستشرقين الحاقدين على الاسلام فى مسألة المرأة سوى الحقد نفسه .. انهم يتجاهلون عنصر المقارنة فى القضايا التى يعرضون لها ، ومنها قضية المرأة المسلمة — مع أن عنصر المقارنة عنصر جوهرى فى مجال البحث العلمى الأصيل ، وهؤلاء الذين يحرصون على الافتراء ، يتجاهلون عن عمد ، المقارنة بين وضع المرأة فى الجاهلية قبل الاسلام ، وبين وضعها بعد ظهور الاسلام ، بل المقارنة بين وضعها فى ظل الشرائع السابقة على الاسلام فقد كانت فى ظل هذه الشرائع « عدما » وأصبحت فى ظل الاسلام وجودا قائما بذاته ..

ان هؤلاء يحرصون — فحسب — على القاء الاتهامات جزافا يرددونها كالببغاوات بلا ادراك ، فما قاله « جاستون فييت » فى موسوعة « اليونسكو » قاله سواه من أشباهه من قبل ، فما قاله هذا المستشرق الفرنسى المتعصب ، قاله من قبل « اللورد كرومر » الاستعمارى الانجليزى البغيض الذى ترك أبغض سيرة فى مصر ابان كان مندوبا للحماية البريطانية فيها ، ولا تزال جريمته فى حادثة « دنشواى » صفحات سود فى تاريخه ، فقد زعم هذا المتعصب الحقير فى مؤلفه : « مصر الحديثة » أن الاسلام جعل المرأة فى مركز منحط للغاية ، وأنه يتضمن سننا وشرائع عن علاقات الرجال والنساء مناقضة لآراء هذا العصر .. ثم عاب الاسلام — من حيث

هو شريعة اجتماعية — أنه أباح تعدد الزوجات والطلاق .. وقد تولى الرد على هذا المعتمد البريطانى الذى أبعد عن مصر الأستاذ الشيخ مصطفى الغلايينى منذ زهاء نصف قرن من الزمان .. فى مؤلف جليل هو : « روح المدنية أو الاسلام وكرومر » .

ونحن عرضنا لافتراءات « كرومر » لأنها كافتراءات موسوعة « اليونسكو » ولا مجال هنا لما قاله اللورد المتعصب ، فحسبنا من الرد عليه أن هدفه من تأليف كتابه الملىء بالمفتريات ، هو الانتقام من مصر الاسلامية ، والتشفى من دين أبنائها ، وهى التى ثارت فى وجهه بعد حادثة « دنشواى » حتى أبعد منها مطرودا .. وحسبنا أيضا من الرد عليه شهادة من بنى جلدته ، فقد قالت جريدة العدل اللندنية عن الكتاب : أنه كتاب لا يضارعه كتاب آخر فى المطاعن والأكاذيب التى يؤلف منها أقوالا مختلفة » .

ولا يسمح المجال هنا أيضا أن نعرض قضية المرأة المسلمة ، متعقبين سائر الافتراءات التى اختلقتها على الاسلام عقليات صليبية حاقدة ، عفنة فى تعصبها ، بيد أننا مضطرون الى الاشارة السريعة الى شىء يسير من المقارنة بين وضع المرأة فى ظل الاسلام ، وبين وضعها فى الشرائع الاخرى ، فمثل هذه المقارنة العاجلة تؤكد لنا أن مرتبة المرأة فى ظل الاسلام ، مرتبة لا تدانيها مرتبة المرأة فى ظل الشرائع والحضارات الأخرى ..

« يقول سيد أمير على » فى مؤلفه : « روح الاسلام » :

« كان وأد البنات شائعا فى الهند كما كان شائعا عند العرب فى الجاهلية ، ولا ندرى متى ظهرت بدعة احراق الأرامل ، ولكن من المحقق أنها كانت شائعة فى القرن السابع الميلادى ، ولا شك أن الأرملة كانت ترحب بالموت — مهما كان مفزعا — ترحيب الأسير بالفكاك من الأسر ، لأنها — اذا لم يكن لها ولد — عاشت فى شقاء أليم ..

« وكان يحرم على المرأة أن تدرس أسفار « الفيدا » أو تشترك فى تقديم القرابين .. وكان دينها أن تقوم بخدمة زوجها على الوجه

الأكمل ، وسعادتها الأبدية تقوم على أداء هذا الواجب على الوجـــه الأكمل ٠٠

وشريعة « مانو » فى الهند أيضا رفضت الاعتراف للمرأة بأى حق مستقل عن حق أبيها أو زوجها ، أو ابنها فى حالة وفاة الزوج أو الأب ، ولم تنل أدنى شيء من الاستقلال ، ويجب أن تنتسب الى رجل من أقارب زوجها اذا انقطعت صلتها ــ بوفاة أبيها أو زوجها أو ولدها ، والمرأة أيضا مسلوبة الحرية والمكانة عند اليونانيين الأقدمين، ولم يسجل التاريخ شهرة للمرأة فى ميادين العلم والحكمة والفلسفة، وان عرف التـــاريخ شهيرات من الغوانى أو الجوارى الطليقـات ، ومذهب الرومان الأقدمين كمذهب الهنود الأقدمين فى تجاهل أى حق للمرأة ، وربما انفردت الحضارة المصرية القديمة باكرام المرأة ، ولكن هذه الحضارة زالت ، وزالت معها شرائعها معهـــا قبل عصر الاسلام ٠٠

والمأثور عن الكتب المنسوبة الى موسى عليه السلام ــ كما يقول الأستاذ العقاد فى كتابه : « المرأة فى القرآن » ــ أن البنت تخرج من ميراث أبيها اذا كان له عقب من الذكور ٠٠ والحكم المنصوص عليه فى حق الميراث : أن تحرم البنات ما لم ينقطع نسل الذكور ، وأن البنت التى يؤول اليها الميراث لا يجوز لها أن تتزوج من سبط آخر ٠٠ ولا يحق لها أن تنقل ميراثها الى غير سبطها ٠٠٠ »

وفى الشريعة الانجليزية ينال الابن البكر أكبر نصيب ممـا يتركه أبوه ، وجعلت هذه الشريعة سائر اخوته دونه فى الميراث ، فان كان الداعى الى ذلك ــ كما يقول الشيخ مصطفى الغلايينى فى رده على اللورد كرومر ــ كبر سنه ، فهم سيكبرون أيضا ، ويحتاجون الى المال احتياجه هو اليه ، فليس لفعلهم هذا سبب معقول كالأسباب التى دعت الشريعة الاسلامية ، لأن تفرض للرجل نصيبا من الميراث أكثر من نصيب المرأة ٠٠ »

والعجيب أن خصوم الاسلام يتشدقون بمسألة ميراث المرأة فى الاسلام ، كدليل على أن الاسلام لم ينصف المرأة، كذلك يتشدقون

بمسألتى الطلاق وتعدد الزوجات كدليل على اهدار الاسلام لقيمة المرأة ٠٠ ويتجاهل هؤلاء أن مسألتى الطلاق وتعدد الزوجات فى نظر الاسلام ليستا فرضا ولا سنة واجبة ، بل هما رخصة يلجأ اليهـا المضطر فحسب ، وحين يكون الطلاق أو التعدد هو وحده الحـل ، فليس النص على الاباحة لأن كليهما واجب على الرجل أو مستحسن مطلوب ــ كما يقول الأستاذ العقاد فى كتابه : « المرأة فى القرآن » وانما النص لاحتمال ضرورته فى حالة من الحالات ، ويكفى أن تدعو اليه الضرورة فى حالة من ألف حالة ، لتقضى الشريعة بما يتبع فى هذه الحالة ، ولا تتركها غفلا من النص الصريح ٠٠

لسنا فى حاجة هنا الى أن نشير بالتفصيل الىأن مراسم الطلاق مقررة فى شريعة العبرانيين ، أما فى المسيحية فلا يجوز الطلاق الا بسبب ثبوت جريمة الزنا ، أو طلبا للنسل فى حالة ثبوت العقم ، وفى أوربا وأمريكا ــ كما يقول الأستاذ العقاد : تحـــول كثير من المسيحيين الى نظام قانونى يجيز ثلاثة أحوال فى حكم الطـــلاق ، وهى : الغاء عقد الزواج ، والتفرقة بين الزوجين ، والفصل بينهما مع بقاء الصفة الشرعية للزواج ٠٠

ونحن اذا أضـــفنا الى هـــذا التيـــارات التى تطالب باقرار الطلاق فى أعرق البلاد المسيحية فى أوربا ، ومنها ما تحقق لها هذا الأمل ، يمكننا أن نقول بفخر : ان شريعة الاسلام لها فضل السبق على سواها فى تقديرها لحاجات البشر دون ما حرج أو تضييق ٠٠

وأيضا ، لسنا فى حاجة هنا الى أن نشـــير الى أن الشريعة الاسرائيلية أباحت تعدد الزوجات بمشيئة الأزواج حسب رغباتهم واقتدارهم ، بل أن التوراة والتلمود قد أباحا تعدد الزوجات على اطلاقه ، ولقد بقى تعدد الزوجات مباحا فى العـــالم المسيحى الى القرن السادس عشر ، بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية الى ايجاب تعدد الزوجات ٠٠

وأعجب ما يتشدق به المتشدقون ، مسألة ميراث المرأة ٠٠ وهم فى الحقيقة أقل من أن يدركوا حكمة التشريع الاسلامى فى جعل

نصيب الرجل مثل حظ الأنثيين ٠٠ فالاسلام – كما يقول الدكتور النعمان فى كتابه : الاسلام عقيدة وحياة » : يجعل الرجل هو المكلف بالانفاق على البيت ، ولا يطلب من المرأة أن تنفق شيئا من مالها على غير نفسها ، الا حيث تكون هى العائل الوحيد لأسرتها ، وهى حالات نادرة فى ظل النظام الاسلامى ، لأن أى عاصب من الرجال مكلف بالانفاق ولو بعدت درجته ٠٠ فأين الظلم الذى يحاول دفعه المطالبون بالمساواة المطلقة ؟ انها مسألة حساب لا عواطف ٠٠ تأخذ المـرأة ثلث الثروة الموروثة لتنفقها على نفسها ، ويأخذ الرجل ثلثى الثروة لينفقها أولا على زوجة ، وثانيا على أسرة وأولاد ، فأيهما يصيب أكثر؟ والرجل ينفق تكليفا لا تطوعا مهما كانت ثروة المرأة الخاصة ، فلا يحق له أن يأخذ منها شيئا ألبته الا بالتراضى الكامل بينهما ٠ وعليه أن ينفق عليها كأنها لا تملك شيئا ، ولها أن تشكوه اذا امتنع عن الانفاق أو قتر فيه بالنسبة لما يملك ، ويحكم لها الشارع بالنفقة أو بالانفصال » ثم يقول :

« على أن هذه النسبة انما تكون فى المال الموروث بلا جهد ٠٠ يقسم بعدالة حسب حاجة كل ٠٠ ومقيـاس الحاجة هو التكاليف المنوطة بمن يحملها ٠٠ أما المال المكتسب فلا تفرقة فيه بين الرجل والمرأة ، لا فى الأجر ولا فى الربح أو فى ريع الأرض ، لأنه يتبع مقياسا آخر ، هو المساواة فى الجهد والجزاء ٠٠ اذن فلا ظلم هناك ٠٠ ولا شبهة تفيد أن قيمة المرأة هى نصف قيمة الرجل فى حسـاب الاسلام ٠٠ كما يفهم العوام والمشنعون على الاسلام ٠٠ » ٠

فى الوقت الذى لم يكن للمرأة فى الحضارات السـابقة عـلى الاسلام أدنى حظ من الثقافة والمعرفة ، والتاريخ شاهد على ذلك ، نلاحظ أن الاسلام بعد ذلك هو الذى فتح سائر أبواب المعرفة أمام المرأة بلا حدود ٠٠ ان الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ كان له من شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النسـاء ٠٠ ولم يكن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها من أنفذ الناس رأيا فى أصول الدين ودقائق الكتاب المبين – فحسب – بل أيضا فى رواية التاريخ

والأدب والشعر والانساب والفلك والطب ، وكان فقيه المسلمين « عروة بن الزبير » رحمة الله يقول : « ما رأيت أحد أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة »

هذا وقد عرف تاريخ المسلمين شاعرات وأديبات وناقدات وعالمات ، وها هو ذا « جوستاف لوبون » فى مؤلفه : « حضـارة العرب » يعترف برفعة شأن المرأة المسلمة فى عصور الاسلام الزاهية، وامتياز العديد من المسلمات بنفاذهن فى العلوم والآداب ٠٠ ومع ذلك فلا يخجل اللورد « كرومر » فى كتابه « مصر الحديثة » من اتهام الاسلام بأنه جعل المرأة فى مركز منحط غارقة فى الجهل ، ويتجاهل هذا اللورد الحاقد أن الاسلام جعل طلب العلم فريضة على الرجل والمرأة سواء بسواء ، بينما تقتضى بعض نصوص الشريعة المسيحية التى يدين بها حرمان المرأة من هـذا الحق الطبيعى ، قال بولس « مخاطبا « تيمو ثاوس » : لست آذن للمرأة أن تتعلم ٠٠ ولا أن تسلط على الرجل ،بل تكون فى سكوت دائم ، لأن آدم جبل أولا ثم حواء »

على أن الاسلام – كما يقول الشيخ الغلايينى فى رده عـلى اللورد – لو كان يأمر ببقائها فى الجهل – كما زعم « كرومر » فلا يحق له أن يعترض أيضا ، لأن النصرانية لم تجىء بحقوق للمرأة ترفعها من رتبة المـرأة المسلمة فى هـذه الأيام – أيام تأخـرها وانحطاطها – وان ما نشاهده اليوم من تقدم المرأة الغربية ، لا ينبغى أن ينسب الى دينها، بل الى همة رجال الغرب أنفسهم ٠٠ » ٠

ألم ينصف الإسلام أهل الذمة ؟؟

● تزعم موسوعة « اليونسكو » أن الاسلام لم ينصف أهل الذمة ، وأن الاسلام عمل على أن يظل الوضع الاجتماعى للذميين وضعا سيئا مهينا ، ويستدل الكاتب بالجزية التى فرضت ، ويراها ضريبة باهظة أثقلت كواهل الذميين ، ثم يزعم أن ازدياد انتشار الاسلام بين الذميين أدى الى تناقص الدخل من هذه الضرائب ٠٠ لذلك قررت ضريبة جديدة سميت بالخراج ، وبالرغم من اعتراف الكاتب بأن الخراج فرض على الأرض الزراعية أيا كانت ديانة مالكها ، الا أن ذلك كان وضعا اجتماعيا ضارا بالذميين ، وقد صار الوضع الاجتماعى العام بالنسبة لهم أكثر ارهاقا ابتداء من القرن الثالث الهجرى ، حيث ألزم الذميون باتخاذ زى خاص بهم ، كما لم يسمح لهم بركوب الخيل ، ثم يعلل الكاتب اقبال الذميين على الاسلام بالتخلص من الضرائب الباهظة ، أو لكى يحظوا بحقوق المواطنة أسوة بالمسلمين ٠٠

يبدو أن مسألة « موقف الاسلام من أهل الذمة لعبة مفصلة لدى معظم المستشرقين الصليبيين ، فيضفون على المسألة لتحويرها — من خيالهم وأوهامهم ، ما يلقى ظلالا من الشبهة على عدم الإسلام، والقصور الذى يكاد يتمتع به سائر المستشرقين الحريصين على غمز تاريخ الاسلام ، مرده أنهم لا يبحثون ولا يقرأون ، بل ينقل اللاحق منهم عن السابق ، كالببغاوات تماما ، لأن الهدف لديهم حرصهم على التشويه ، وليس البحث عن الحقيقة على الاطلاق ٠٠ وهم لا يقدرون أى احتمال لاتهام عقولهم بالقصور ، ونفوسهم بالهوى ، وصدورهم بالحقد ٠٠ ولو أن منصفا واحدا منهم قرأ تاريخ الاسلام كما ينبغى أن يقرأ مجردا من الهوى ، وقرأ ما كتبه المستشرقون الحاقدون ، لاعتراه الكثير من الخجل ٠٠

● لقد كتب العلامة الأستاذ أبو الأعلى المودودى أمير الجماعة الاسلامية بباكستان ، وذلك سنة ١٩٤٨ م ، بحثا موجزا فى صفحات معدودة عن « حقوق أهل الذمة فى الدولة الاسلامية » والبحث فقهى أصيل ، وحسبنا أن نبرز الخطوط الرئيسية فى هذا البحث ٠٠

ان الاسلام جعل الجزية المفروضة على الذميين مما يتناسب مع حالة كل فرد المالية ، فبلغت فى عهد عمر بن الخطاب ، ثمانية وأربعين درهما لكل رأس موسر ، وأربعة وعشرين درهما للوسط ، واثنى عشر درهما للفقير ٠٠ ولا توضع الجزية الا على الصالحين للقتال من أهل الذمة ، ويستثنى منها غير أهل القتال : كالنساء والصبية ، والمعتوهين ، والعميان والمقعدين ، والسدنة والرهبان والشيوخ الفانين الزمنى ، والعبيد والاماء ٠٠

وقبول الجزية تثبت معه عصمة الأنفس والأموال ، ولا يكون بعد ذلك للامام أو لعامة المسلمين أن يأخذوا أملاكهم أو يستعبدوهم، ولقد كتب عمر الى أبى عبيدة : « فاذا أخذت منهم الجزية فلا شىء لك عليهم ولا سبيل » اذن فالجزية مقابل حماية الدولة لهم ، وأيضا مقابل اعفائهم من الخدمة العسكرية ٠٠ فاذا أصبح المسلمون فى حين من الأحيان ، قاصرين عن الدفاع عن أهل الذمة ترد جزيتهم اليهم ، وهذا ما حدث عند موقعة اليرموك فى الشام ، حين اضطر المسلمون الى الانسحاب من البلاد المفتوحة ، ليستجمعوا قوتهم فى مقام واحد ، فكتب أبوعبيدة الى أمرائه أن يردوا الىالذميين ما أخذوا منهم من جزية وخراج ، وأن يقولوا لهم : قد شغلنا عن نصركم والدفاع عنكم ٠٠ فهذه أموالكم ترد اليكم ٠ » وهذا مما حدا بالذميين فى حمص — وقد ردت اليهم أموالهم — أن يقولوا بلسان واحد لأمير حمص المسلم : لولايتكم وعدلكم أحب الينا — والله — مما كنا فيه من الظلم والغشم ٠٠ والتوراة : لن يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا أن نغلب ونجهد »

لقد كان التسامح فى تحصيل الجزية مما لا ينكر فى تاريخ المسلمين ، فقد أمر عمر رضى الله عنه : أن لا يكلف الذميون فوق

طاقتهم ، وألا يلزموا من المال ما لا يطيقون أداءه » ولقد كتب على كرم الله وجهه الى بعض عماله على الخراج : « اذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيفا ، ولا رزقا يأكلونه ، ولا دابة يعملون عليها ، ولا تضربن أحدا منهم سوطا واحدا فى درهم ، ولا تقمة على رجله فى طلب درهم ، ولا تبع لأحد منهم عرضا فى شىء من الخراج .. فانما أمرنا أن نأخذ منهم العفو .. فان أنت خالفت ما أمرتك به ، يأخذك الله به دونى .. وان بلغنى عنك خلاف ذلك عزلتك » .

أما الذين يصبحون فقراء ومحتاجين من أهل الذمة ، فلا يعفون من الجزية فحسب ، بل يجرى لهم عطاء من بيت المال الاسلامى ، ولقد كتب خالد فى عهد ذمته التى كتب لأهل الحيرة : « وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله » هذا وقد أمر عمر — فى رحلته الى دمشق — بعياله المقعدين من أهل الذمة من بيت المال ..

ومن المقرر فى الشريعة الاسلامية: أنه اذا مات أحد من الذميين وعليه شىء من الجزية ، فلا يؤخذ من تركته ، ولا يكلف ورثته بأدائه ..

● فهل مثل هذا التسامح النابع من أصول الشريعة الاسلامية يعتبر فى نظر الكاتب مرهقا للذميين فى ظل الدولة الاسلامية ؟

ربما كان هذا الكاتب معذورا بعض الشىء ، لأنه لم يكن أكثر من ناقل ينقل عن أسلافه من المستشرقين دون أدنى تصرف ، فقد سبقه الى الافتراء المستشرق الألمانى « يوليوس فلهاوزن » مؤلف : الدولة العربية وسقوطها » الذى ترجم الى الانجليزية سنة ١٩٢٧ ، والى العربية سنة ١٩٥٦ ، وفى هذا المؤلف يزعم « فلهاوزن أن الارهاق الاقتصادى الذى كان يعانيه الذميون كان دافعا قويا الى دخول الاسلام ، وكان أن ترتب — على دخول الذميين الاسلام أفواجا — آثار ثلاثة : نقص الدخل الذى كان يجمعه المسلمون ، وأن الأعباء

المالية على الجماعات التى تدفع « الاتاوة » أصبحت لا تحتمل ، اذ القى عبء الضرائب التى كان يؤديها الذين دخلو فى الاسلام على كواهل الذين احتفظوا بأديانهم — الى جانب أعبائهم الأصلية من الضرائب ، والأثر الثالث : أن كثيرا من الذين أسلموا تركوا أراضيهم وقراهم ، وهاجروا الى المدن العربية ، حيث أصبحوا موالى للعرب مع ما كان يكتنف موقفهم من حيف سياسى .. وترتب على هذا الحيف أن أصبحوا يشكلون خطرا دائما يهدد الاستقرار الحكومى ..

ومن أعظم مفتريات « فلهاوزن » ادعاؤه أن معظم الفقهاء المسلمين الرافضين مفترياته ، قد ارتكبوا التزوير عامدين ، تزويرا تفسره — وان كانت لا تبرره — محاولتهم الرجوع بأصول النظم الاقتصادية الى بدء الاسلام ، لتكسب الاصالة والثقة ..

ولا يسمح المجال هنا لدحض شبهات « فلهاوزن » وتلامذة مدرسته من بعده : أمثال « ك. هـ. بكر » مؤلف « دراسات اسلامية » و « ليون كايتانى » مؤلف : « حوليات الاسلام » وغيرهما ، فقد أعفانا من الجهد ،مستشرق ينتسب الى دينهم ، هو : « دانيل دنييت » فى مؤلفه : « الجزية والاسلام » وهو مستشرق أمريكى لا يمكن أن يتعصب للاسلام ، ولا سيما أن مؤلفه رسالة جامعية ، وقد ترجمه الى العربية سنة ١٩٦٠ م ، الدكتور فوزى فهيم جاد الله ، وهو من المتخصصين ، وله رسالة جامعية موضوعها : « الضرائب فى صدر الاسلام » والحق أن « دانيل دنييت » استطاع أن يأتى على مفتريات « فلهاوزن » ومدرسته ..

● والعجيب أن هؤلاء المفترين لا يفكرون على الاطلاق فى بحث مقارن بين معاملة الصليبيين للأقليات المسلمة التى كان من سوء حظها أن تعيش فى بلادهم ، وبين معاملة المسلمين للأقليات المسلمة فى بلادهم ، فالأولى لا تتسم بأدنى قدر من المروءة فضلا عن العدالة ، وحسبنا أن نشير الى ما حدث فى أسبانيا ، والى ما حدث خلال الحروب الصليبية منذ عدة قرون .. بل ما هو أكثر من ذلك لا يفكر هؤلاء فى المعاملة التى سادت الصراع بين الطوائف التى تنتمى الى

المسيحية ، وكيف اتسمت تلك المعاملة بضروب الهمجية والوحشية والنذالة ..

وازاء ذلك نحن لا نقيم وزنا لهـــذيان اللورد « كرومر » في كتابه « مصر الحديثة » هذا الذى يزعم أن الاســلام دين يبث فى نفوس أتبـــاعه روح التعصب والبغض والانتقـام من مخالفيهم .. واللورد ـ بالطبع ـ لم يجهل ما حدث للمسلمين فى أسبانيا بعـد استيلاء الصليبيين عليها ، لقد أصدر الامبراطور « تور كماندو » فى فبراير ١٥٠٢ م أمرا بطرد أعداء الله المغاربة « المسلمين » من « أشبيلية » وما حولها ، ومن لم يقبل المعمودية ـ أى التنصير ـ يترك بلاد أسبانية قبل شهر ابريل من نفس السنة ، أى بعد شهر ، على ألا يذهبوا فى طريق يؤدى الى بلاد اســـلامية .. ومن خالف فجزاؤه القتل .. وكان آن نفى هؤلاء الى القتل فى الطريق حيث كمن لهم الأسبان وأبادوا معظمهم ..

هذا وقد روى التاريخ : أن عمير بن سعد الأنصارى .. قدم على عمر بن الخطاب ، وقال له :

« ان بيننا وبين الروم مدينة يقـــال لها « عربسوس » وأن أهلها يخبرون عدونا بعوراتنا ، ولا يظهروننا على عورات عدونا ، ولهم علينا عهد » واستشاره فى أمرهم ، فقال عمر رضى الله عنه : « اذا قدمت عليهم فخيرهم بين أن تعطيهم مكان كل شاة شاتين ، ومكان كل بقرة بقرتين ، ومكان كل شىء شـيئين .. فاذا رضـوا فأعطهم اياه وأجلهم ـ أى أبعدهم عن البلاد ـ وخربها .. فان أبوا فانبذ لهم ، وأجلهم سنة ثم خربها .. » .

أما فى أسبانيا ، فلما حاصر الأعداء مدينة غرناطة ، وأصاب المسلمين ما أصابهم بسبب الحصار ، أرسلوا الى العدو فى الصلح واشترطوا شروطا وعقدوا مواثيق ومكنوا الأعداء من غرناطة ، وكانت الشروط ـ كما يقول الشيخ الغلاييني فى كتابه « الاســلام روح المدنية » ـ سبعة وستين شرطا .. نقضها النصارى شيئا فشيئا ،

ونكثوها عروة فعروة ، الى أن آل الأمر بهم على التنصر .. وقد صدر الأمر من سلطان النصارى بقتل جميع المسلمين الا من تنصر ..

ونحن نتحدى أن يكون المسلمون فى التاريخ قد أعطوا عهدا لأهل الذمة ، ثم نقضوا شرطا واحدا من شروطه ، ومن ناحية أخرى نتحدى أن توجد دولة مسيحية أو يهودية قد أعطت عهدا للمسلمين ثم وفت حتى ببعض شروطه ، سواء فى التاريخ القديم أو فى التاريخ الحديث ، وشواهدنا من التاريخ القديم مأساة المسلمين فى أسبانيا ، وفى الحروب الصليبية ، ومن التاريخ الحديث ، مأساة العرب فى فلسطين ، ومأساة المسلمين فى الحبشة وأريتريا . والفلبين وغيرها ، ونسقط من الاعتبار بالطبع عهود الشيوعية للأقليات المسلمة التى تعيش فى بلادها ..

● **والذى لا يكاد يفهمه خصوم الاسلام ، هو أن دولة الاسلام تقوم ـ فى حقيقة الأمر على المبدأ ، فهى تلتزم دائمـــا بشريعتها ، فالعدل مع الخصوم ـ أيا كانوا ـ مبدأ مقرر ، فالقرآن الكريم يقول : « .. ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا .. أعدلوا هو أقرب للتقوى ..واتقوا الله.. ان الله خبير بما تعملون » (المائدة : آية ٨).**

نحن لا نفرض على حاقد متعصب أن يفهم : ما معنى أن تكون دولة الاسلام قائمة على المبدأ ، لأن مثل هذا الحاقد المتعصب لن يكون مستعدا لأن يفهم شيئا الا فى مجال الافتراء على الاسلام ، ولكنـــا نكتب لنقرر الحقيقة لوجه الله وحده ، فالحقوق العامة المقررة لأهل الذمة فى شريعة الاسلام : أولها حفظ النفس ، بمعنى أن دم الذمى كدم المسلم ، فقد روى أن رجلا من المسلمين قتل رجلا من أهـــل الذمة ، فرفع ذلك الى الرسول ، فقال : أنا أحق من وفي بذمته ، ثم أمر به فقتل ... ثم ان المسلم والذمى سواء أمام القانون الجنائي ، الا أن الذمى مستثنى من حد الخمر ، بل ان الامام مالك يرى أن الذمى مستثنى من حد الزنا كحد الخمر .. مستنبطا حكمة هذا من قضـاء عمر : بأن الذمى ان زنا يترك أمره الى أهل ملته « والمساواة أيضا

أمام القانون المدنى ، بيد أن الذمى أيضا مستثنى ـ فى مجال التجارة ـ من أحكام الخمر والخنزير ـ له أن يصنع الخمر وله أن يشربها ، وله أن يبيعها ، وله أن يربى الخنزير ويأكل لحمه ويبيعه ، واذا أتلف أحد من المسلمين خمر الذمى أو خنزيره كان عليه غرمه ، وهذا مدون فى كتب الفقه ، كالمبسوط والدر المختار ‥ وهذا الاستثناء قائم ما دام ذلك فى حدود بيئتهم ، وفى حدود المعاملة فيما بينهم ‥‥

والحق الثانى : حفظ الأعراض : فلا يجوز ايذاء الذمى باليد وباللسان ، ولا شتمه وضربه ، ولا غيبته ، وينقل الأستاذ المودودى عن « الدر المختار » : ويجب كف الأذى عن الذمى ، وتحريم غيبته »

ومن المقرر فقها : أن عقد الذمة يلزم المسلمين جميعا لزوما أبديا ‥ ولكن لأهل الذمة الخيار فى التزامه أو نقضه ، بل ما هو أكثر من ذلك ، أن الذمى لا ينقض عقده ارتكاب الكبائر ، كالامتناع عن الجزية ، وقتل المسلم ، والزنا بالمسلمة ‥ بل سب النبى ـ صلوات الله عليه ، فكل هذه الأفعال ـ كما يقول المودودى ـ يعاقب عليها الذمى فى القانون كأحد من الجناة ، ولا يعد بذلك خارجا على الدولة الاسلامية ، ولا يخرج من عقد الذمة ، فقط هناك أمران يخرجان الذمى من العقد : أن يغادر دار الاسلام الى دار الحرب ـ أو أن يخرج على الدولة المسلمة علنا ويبث الفتنة فى البلاد ‥

ومن الحقوق العامة المقررة ، أن تقضى أمور أهل الذمة الشخصية بحسب قانونهم الشخصى ، ويذكر التاريخ أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كتب الى الامام الحسن البصرى مستفتيا :

« ما بال الخلفاء الراشدين تركوا أهل الذمة وما هم عليه : من نكاح المحارم ، واقتناء الخمور ، والخنازير ؟ »

فأجاب : انما بذلوا الجزية ليتركوا وما يعتقدون ‥ وانما أنت متبع ولست مبتدعا والسلام » أما الشعائر الدينية والتقاليد

القومية ، فللذميين مطلق الحرية فى قراهم أو فى حدود أحيائهم الخاصة ، ولا تتدخل الدولة ان أظهروا شعائرهم ـ على الأخص فى معابدهم ‥

● ومما هو جدير بالاشارة اليه أن هذه الحقوق لأهل الذمة الواردة فى شريعة الاسلام ، لا مثيل لها فى شريعة من الشرائع ، ولا فى أية قوانين وضعية ، بالنسبة للأقليات ، وهذا ما يؤكد قيام الدولة المسلمة على المبدأ ‥ وما هو أيضا جدير بالاشارة اليه : أن التاريخ سجل حماية الفقهاء المسلمين لهذه الحقوق والدفاع عنها ، فكلما عومل أهل الذمة بغير العدل فى عصور الملكية التى أعقبت عصر الخلفاء الراشدين ـ لم يتقدم لحمايتهم الا الفقهاء المسلمون الذين كانوا لهم عونا وردءا على الملوك الجائرين ‥

ويسوق الأستاذ « المودودى » من حوادث التاريخ المشهورة : أن « الوليد بن عبد الملك » الأموى أخذ كنيسة « يوحنا » من النصارى قهرا ، وأدخلها فى المسجد ، فلما استخلف « عمر بن عبد العزيز » شكا النصارى اليه ما فعله الوليد بهم فى كنيستهم ، فكتب الى عامله يأمره برد ما زاده فى المسجد عليهم » وذلك بالطبع بعد أن استشار الفقهاء ‥ وأن الامام « الأوزاعى » كتب الى « صالح بن على » وقد عامل بشىء من الشدة أهل الذمة فى جبل لبنان ، نتيجة لمحاولة البعض اثارة القلاقل ، كتب اليه يقول :

« ‥ فكيف تأخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم ‥ ؟ وحكم الله تعالى : « أن لا تزر وازرة وزر أخرى » وهو أحق ما وقف عنده واقتدى به ‥ وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى » وصية رسول الله ‥ فانه قال : من ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته ‥ فأنا حجيجه » أى خصمه ‥ وترتفع سماحة التشريع الاسلامى الى القمة حين تقرر هذه الشريعة السمحة : أنه ـ كما يقول الأستاذ « المودودى » ـ مهما خولت الدولة الاسلامية أهاليها غير المسلمين من الحقوق ، فستخولهم اياها بلا اعتبار أنه : ماذا تفعل دولة من

الدول المجاورة غير المسلمة بأهاليها المسلمين ؟ وماذا تعطيهم وماذا تمنعهم ٠٠ وانا لنربأ بالمسلم عن أن يقرر خطة عمله تأسيا بالكفار ٠٠ فان أنصفوا أنصف ٠٠ وان عادوا يظلمون ٠٠ عاد هذا أيضا يتبع خطة الظلم والعدوان ٠ بل الأمر من حيث أننا مسلمون ٠٠ نتبع مبدأ واضحا قطعيا ٠٠ ولابد أن نعمل بمبادئنا فى حدود سلطتنا فى كل حال ٠٠ فالذى سنعطيه ٠٠ سنعطيه بالنية الصادقة ، ولا نثبته على صفحة القرطاس وحـــده ٠٠ بل نحققه فى الواقـــع والعمل ٠٠٠ »

هل الشريعة الاسلامية منتحلة ؟؟

● ان أكثر افتراءات « اليونسكو » على الاسلام ، ليس الا ضربا من الهذيان ، ويبدو أن المستشرق الفرنسى « جاستون فييت » كاتب الفصل الخاص بالاسلام على الارجح — كتب ما كتب وهو متوتر الاعصاب ، وموتور الضمير معا ٠٠

فمن مزاعمه التى هى أهون من أن يرد عليها ، ادعاؤه : أن الشريعة الاسلامية — حتى معظم القرن الأول الهجرى ، لم يكن لها وجود بالمعنى الدقيق لهذه العبارة ، ومؤدى ذلك من ناحية ، أن الشريعة فى عهد الرسول عليه السلام ، لم تكن ميادينها بأسرها مما يدخل فى اطار النظرة العامة التمهيدية للاسلام ٠ ويحاول الكاتب أن يسند زعمه بأن المظاهر الفنية للشريعة لم تكن موضع اهتمام من جانب المسلمين ، ومن ناحيه أخرى ترتب على هذا وذاك ، أن المسلمين اضطروا الى انتحـــال القـــدر الكبير من النظم الادارية والقضائية فى البلاد التى فتحوها ٠٠ ثم يواصل المستشرق الفرنسى افتراءه فيدعى أن مصادر الشريعة الاسلامية هى القانون الرومانى البيزنطى ، والقانون الفارسى الساسانى ، وقانون التلمود ، بالاضافة الى القوانين الدينية الخاصه بالكنائس الشرقية ٠٠ ومما لا يجهله الكاتب ولكنه يكابر فى عدم الاعتراف به : أن القرآن الكريم حين قال : « اليوم أكملت لكم دينـــكم ٠٠ وأتممت عليكم نعمتى ٠٠ ورضيت لكم الاسلام دينا » فلن يكون هناك مجال لأدنى شك فى أن الشريعة الاسلامية قد قام بناؤها متكاملا ، قبل أن يرحل الرسول عن الدنيا ، ومعتمدا على أساسين سليمين هما الكتاب والسنة ، ولم ينعقد الاجماع الا على هذين المصدرين ، أما ما ارتآه الفقهاء بعد ذلك من مصادر أخرى ، كالقياس والاجماع وغيرهما ، فلا اجماع عليها ، وأيضا لا اهمال لها أو الاقلال من شأنها ، مع اعتبار الكتاب والسنة

الصحيحة المصدرين المعتمدين وحدهما ، فمثلا اعتبر بعض الفقهاء ·· الاجتهاد مصدرا ·· ولكنهم فى نفس الوقت قرروا أصلا فقهيا هو : لا اجتهاد مع نص ··

ومن المعلوم ـ كما يقول « ليوبولد فاس » فى مؤلفه : « منهاج الاسلام فى الحكم » : أن الأحكام التى استخرجها الفقهاء المسلمون ، لا تقوم كلها على اوامر ونواه منصوص عليها فى القرآن والسنة ، بها ، بل ان قسطا كبيرا منها كان من ثمرات التفكير الاجتهادى ،وقد اهتدى اليها بوسائل استنباطية مختلفة ·· ولقد بنى الفقهاء المسلمون فى العصور الماضية كثيرا من الأحكام الفقهية التى وصلوا اليها على أساس دراساتهم العميقة لكتاب الله وسنة رسوله ·· تأثرت هذه الأحكام بالطريقة التى يعالج بها كل مجتهد موضوعه وبأسلوب فهمه الخاص للمصادر الشرعية ·· وكذلك بالبيئة العقلية والاجتماعية التى سادت عصره ·· ثم يقول : لقد استهدف واضعو هذه الأحكام المستنبطة تيسير تطبيق مبادىء الشريعة على مسائل وأحوال خاصة ·· ووجهة نظر هؤلاء الفقهاء مؤداها : أن الأوامر والنواهى التى جاء بها القرآن والسنة لا تكفى وحدها للاحاطة بكل ما يقع من الأحوال القانونية التى تحتاج الى حلول·لذا فان توضيحها بواسطة الاستنباط والقياس أمر لا مفر منه ··

ولكن اذا كان لا جدال فى أن الاسهاب والتوضيح أمران ضروريان ·· الا أنه لا القرآن ولا السنة يقدمان أى تفويض بمثل هذا التوسع للشريعة نفسها ·· فنصوص القرآن والسنة هى وحدها التى تشكل فى مجموعها شريعة الحقيقة الخالدة »

ان موسوعة « اليونسكو » بل « هيئة اليونسكو » ذاتها تعتبر مسئولة عن جهل الكاتب الذى وكلت اليه أمر التاريخ للاسلام ، والذى زعم أن الشريعة لم يتم بناؤها الا فى نهاية القرن الأول الهجرى ، لأنه توهم أو تعمد أن يتوهم : أن عمل الفقهاء فى مجال الاجتهاد والاستنباط جزء متمم للشريعة وقياسا على هذا الغباء يمكن

أن يقال : ان عمل المفسرين للقرآن والشارحين للأحاديث النبوية جزء متمم للقرآن والسنة ··

● لم يقف الكاتب « العبقرى » الذى اسندت اليه « هيئة اليونسكو » كتابة الفصل الخاص بالاسلام ـ عند هذا الحد من الافتراء ·· بل زعم : أن فقهاء المسلمين تعمدوا أن يستخدموا النظم القانونية والتشريعية المجربة ، وبخاصه القانون الرومانى··وأن هؤلاء الفقهاء انتحلوا قدرا كبيرا من النظم الادارية والقضائية فى البلاد التى فتحوها ، وفى مقدمة هذه النظم والقوانين : القانون الرومانى والقانون الفارسى ، والتلمود والقوانين الكنسية الخاصة بالكنائس الشرقية ··

يبدو أن المستشرقين يحسون فى قرارة أنفسهم أن اتهامهم للاسلام بأنه نسخة محورة من اليهودية أو المسيحية أو البوذية أو الهندوكية أو الزرادشتية ·· أو من أى شىء ابتدعته أهواؤهم ·· مثل هذا الاتهام قابل للافلاس فى أى وقت ·· وأنه بمرور الأيام سيفقد بعضا من الأصوات التى انخدعت به ·· فأخذوا يفكرون فى تلفيق اتهامات فرعية أخرى تسند الاتهام « الأم » فالفقه الاسلامى منتحل ، والفكر الاسلامى كله منتحل ، والحضارة الاسلامية منتحلة ·· وهكذا ·

ويبدو مرة أخرى آن هؤلاء الممثلين للاتهام لم يكلفوا أنفسهم مشقة البحث عن حقيقة القوانين والشرائع التى استمد منها الفقه الاسلامى ما شاء له أن يستمد : مادة وصياغة وأسلوبا ، ولو أنهم بحثوا وتحصنوا بأمانة التاريخ ونزاهة الضمير ، لخجلوا مما اجترحته أقلامهم وأقلام أسلافهم من قبل ··

ان هذا الاتهام يعول كثيرا فى حيثياته على القانون الرومانى ، ويكفى لدحض هذا الافتراء ، أن نجرى موازنة بين القانون الرومانى والشريعة الاسلامية ، ولا يتسع المجال هنا للتبسط فى اجراء هذه الموازنة ، فمن ناحية لأننا فى هذا البحث الموجز نهدف الى الكشف عن مفتريات موسوعة « اليونسكو » فى المقام الأول ، ومن ناحية

أخرى ، حتى لا ننزل بشريعة القرآن ان نحن وازناها بقانون الرومان – كما يقول أستاذنا المرحوم الشيخ « محمد أبو زهرة » فى مؤلفيه الموجزين المركزين : « الفقه الاسلامى والقانون الرومانى» العدد الحادى عشر من « دراسات فى الاسلام » و « شريعة القرآن » العدد الحادى والثلاثين من « سلسلة الثقافة الاسلامية » يقول : « لأننا حينئذ نوازن بين الضلالة والهدى ، وبين حكم الطغيان وشريعة الديان ، وبين قانون يتحكم فى الضعيف لحساب القوى ، وشرع يرحم الجميع وعلى وجه أخص الضعفاء ٠٠ وفى سبيل العبث بقضية العقل والمنطق ٠٠ يتناسون الموازنة بين قواعد العدل التى اشتملت عليها الشريعة ، وقانون الغابة الذى اشتمل عليه قانون الرومان » ٠

يقول الدكتور عبد المنعم ماجد فى مؤلفه : « تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى » : « مما رأيناه من نمو التشريع الاسلامى ننبذ فكرة أن التشريع الاسلامى متأثر بتشريع الرومان أو الفرس أو غيرهم ، فهو تشريع اسلامى صرف ، يعبر عن طبيعة المجتمع الاسلامى المتطور ، فلم يثبت لدينا – اطلاقا – علميا ، أن التشريع الاسلامى أخذ من أى قانون آخر ، أو أنه وجد فيه أى تعبير لاتينى أو فارسى أو غيره ، فضلا عن وجود نظم فى التشريع الاسلامى لا أصل لها فى أى تشريع آخر ٠٠ » ٠

* * *

● ينفى كاتب الفصل الخاص بالاسلام فى موسوعة « اليونسكو » وجود نظام فقهى متماسك ، فقد كان من المتعذر – كما يزعم – وجود هذا النظام ٠٠ لماذا ؟ لأن القرآن كمصدر أول للفقه يحتوى على آيات متشابهة يتعذر تأويل المراد منها ٠٠ وليست هذه – كما يدعى – العقبة الرئيسية ، فالعقبة الثانية ، مجموعة الأحاديث المروية عن النبى – صلوات الله عليه – وفى أسلوب ماكر ملتو ، يقول : « ان محمدا أراد – طبقا لما نص عليه القرآن – أنه

يكون – فحسب – داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ٠٠ الا أن المسلمين وجدوا أنفسهم لا مفر لهم من أن يجعلوا من شخصيته مثالا يحتذى ٠٠ وليس معنى هذا – ازاء هذا الافتراء – الا اتهام أصحاب رسول الله بوضع هذه الأحاديث » ٠

اننا نكلف الأمور ضد طباعها ، اذ نحن توقعنا من هؤلاء الأعاجم أن يدركوا دقائق اللغة العربية وأسرار بلاغتها ، ويبدو أنهم حين قرأوا لعلماء المسلمين آراء شتى فى مسألة « المحكم والمتشابه » ، وبخاصة المتشابه ، توهموا أن الفرصة قد سنحت لهم للغمز واللمز ٠٠ مع أن هذه الآراء التى نمت عن ثروة فكرية ، والتى هى نتاج هذا الخلاف تؤكد بما لا يدع مجالا للشك ، اعجاز القرآن من الناحية البيانية والبلاغية ٠ وقديما قال الشاعر المتنبى :

أنام ملء جفونى عن شواردها ... ويسهر الخلق جراها ويختصم

ومن شعر المتنبى مثلا :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا ... لمن بات فى نعمائه يتقلب

ويختصم المفسرون : حول الحاسد ٠٠ أهو المتمتع بنعماء غيره يحسده على النعمة التى يعيش فيها ، أم هو صاحب النعمة يحسد من يعيش فى نعمائه دون أن يبذل شيئا من الجهد الذى بذله صاحب النعمة ؟

اذن فاحتمال اللفظ الواحد لعدة معان لون من البلاغة التى تفوقت بها اللغة العربية على سائر اللغات ٠٠ وليست ٠٠ الآيات المتشابهة الا من هذا اللون ، فمن آيات الكتاب محكمات هن أم الكتاب ٠٠ محكمات من جهه احتمال كل منها وجها واحدا لا يرتاب فيه ٠٠ وآيات أخر متشابهات من جهة احتمال كل منها وجوها كثيرة لا يقطع واحد منها قاطع ٠٠

ويجهل المتعصبون من المستشرقين اشارة القرآن الى أن الآيات المحكمات هن أم الكتاب ٠٠ وكما يقول المرحوم محمد فريد وجدى فى مؤلفه : « الاسلام دين الهداية والارشاد » : آيات محكمات

الوضع واضحات المعانى ، لا يستعصى فهمها على انسان ، ولا تحتاج الى صرف ألفاظها عن ظواهرها ٠٠ هى أصل الكتاب وأسسه ٠٠ وعليها يقوم صرح هذا الدين فى المعتقدات والعبادات والمعاملات ٠٠ وفيه غير هذه آيات متشابهات ٠٠ أى محتملات لمعان كثيرة لا تتضح مقاصدها لكونها مجملة أو غير موافقة للظاهر ٠٠ فهذه فى حاجة الى تأويل ٠٠ فأما الذين أشربت قلوبهم الضلالة فيتعللون بظاهر ألفاظها ، أو يتناولونها بتأويل باطل ٠٠ طلبا لفتنة الناس بالتشكيك ، أو رجاء أن يفسروها على ما تشتهى أهواؤهم ٠٠ فالاسلام بهذه الآية قرر بنص لا يحتمل التأويل : أنه لا يطالب الناس الا بما أتى به محكم الوضع ، جلى المعانى » ٠

● وقد بلغت الجرأة على الافتراء من هؤلاء المستشرقين حدا لا يطاق فى مسألة الأحاديث النبوية ، فكيف يستساغ على حد رأى « عبقرى » موسوعة « اليونسكو » أن تكون الالوف المؤلفة من هذه الأحاديث من وضع أصحاب رسول الله ، ليجعلوا من شخصيته مثالا يحتذى ، فهل كانت شخصية الرسول فى حاجة الى وضع الأحاديث لتحقيق هذه الغاية ، مع وجود كتاب الله الذى أكد هذه الصفة للرسول : « وانك لعلى خلق عظيم » ، « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » ، « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » ، وهل يعقل أن يكون من أكرمه الله بالرسالة الا مثالا يحتذى ؟

وأسلوب الكاتب « الفذ » يتسم بالمراوغة ، وهذه المراوغة لا يضطر اليها الا كاتب لا يثق فيما يقوله ، ولا يطمئن الى ما يدعيه ٠٠ فهو بعد أن يطرى الطريقة التى بلغت قمة الدقة فى جمع الأحاديث ، سرعان ما يرتد الى هواه ، ويأخذ على علماء الأحاديث ، أنهم أبدوا عناية وتدقيقا بالغين بالنحو ، أكثر من اهتمامهم بأى من الميول والأهواء التى تشتمل عليه هذه الأحاديث ٠٠ ثم يقيم الكاتب ادعاء آخر على غير أساس ، فيتهم علماء الحديث بأنهم كانوا يعلمون تماما : أن الأحاديث قد وضعت ــ أى أنها أجريت على لسان الرسول ــ بدافع من المصلحة أو الهوى ، لتكون صورة

تعكس آمال المجتمع الاسلامى ومطامحه ، والكاتب ليس مبتكرا هذا الزور ، بل مرددا كالببغاء أحقاد من سبقه من المبشرين والمستشرقين ، أمثال المستشرق اليهودى « جولد تسيهر » وغيره٠٠ وهدف الكاتب أن يقرر فى الأذهان أن الأحاديث النبوية ــ وهذا شأنها ــ كانت العقبه التى تلى عقبة القرآن بآياته المتشابهات ــ فى طريق وضع نظام تشريعى متماسك ٠

ويمكن أن نمر مرور الكرام على الكثير من مزاعم الكاتب ومفترياته وجهله بالتاريخ ، بالاضافة الى أحقاده وأهوائه ٠٠ وبخاصة وهو يكتب عن الفقهاء الأول ، ومدارسهم الفقهية ، وأثر السياسة فيها ٠٠ لكن لا يمكن التغاضى عن حكم أصدره الكاتب بلا أية حيثية ، حيث يقول : « ومن المعروف جيدا أن الاسلام يكره التجديد » وبالطبع يحاول الكاتب الحكم على الشريعة بالجمود ٠

ان الشريعة الاسلامية محكومة بالكتاب والسنة : فى الأخلاق والمعاملات والسلوك بشتى جوانبه : فى نظام الحكم « السياسة الداخلية » وفى العلاقات الخارجية ٠٠ لكن ليس معنى هذا أن الشريعة مغلقة على نفسها ، بمعنى أنها دائما مقيدة بحرفية النصوص ، ولا يمكن أن تكون كذلك ، لأنها خاتمة الشرائع السماوية ٠٠ أى أنها ستظل مهيمنة على الحياة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والحياة متطورة ، وتطورها سنة من سنن الله سبحانه ٠٠ ولذا كان من المقرر فتح أبواب الاجتهاد لمن تؤهله ثقافته من العلماء والمفكرين للاجتهاد ، والرسول ــ صلوات الله عليه ــ قال لأصحابه : أنتم أعلم بشئون دنياكم ٠٠ وفى هذا القول ما ينفى عن الشريعة وصمة الجمود ، ومن الأصول المقررة : حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله ٠٠ لكن الاجتهاد ليس مطلقا لكل من هب ودب ٠٠ فلا اجتهاد مع النص ٠٠ كما قرر الفقهاء ٠

هذا وقد أشار العلامة المرحوم « محمد فريد وجدى » فى مؤلفه : « الاسلام دين الهداية والاصلاح » الى أن الاسلام مرن ٠٠ يتسع لكل ما يجد من الآراء العلمية ٠٠ ولا يستعصى على ما يثبت

أو يرجع من المذاهب الفلسفية .. ولا يقوم الدليل عليه من الشئون الكونية .. نعم فى العلم الذى يفخر اليـوم بأنه أطلق العقل من اساره ، وخلصه من أغلاله ، وأرسى المعلومات على أساس الواقع المحسوس .. العلم صادق فيما يدعى .. ولكن منذ القرن السابع عشر فقط .. على يد العلامة الانجليزى « باكون » أما الاسلام الذى سبق « باكون » بنحو ألف سنة ، أقام العلم على أساسه الطبيعى الثابت .. ودفع بأهله الى غاياته البعيدة ..

ومع هذا كله .. فان المستشرق المؤرخ اذ يعترف بأن القرآن قدم مجموعة من العقائد والشرائع الخلقيـة وينكر فى نفس الوقت أن يكون القرآن قد قدم تفسيرا للعالم او شيئا يتصل بالالهيات ، ومثل هذا الكلام يتفوه به الكاتب جزافا بلا سند ، ليهرع الى اثارة المسائل القلقة التى استوت على سوقها فى خضم الفكر الاسـلامى حينا من الدهر .. وليهرع أيضا الى تجسيد المعارك الفكرية التى دارت ردحا من الزمن أيضـا بين فقهاء المسلمين وعلمـائهم .. كمسائل التشبيه والتجسيم .. وخلق القرآن ، والقضاء والقدر .. وكالمعارك بين المعتزلة وأهل السنة والخوارج ، وبين الشيعة وأهـل السنة أيضا ، ويجهل الكاتب أو يتجاهل عن عمد .. أن هـذه المسائل وتلك المعـارك ، هى التى أثبتت خصـوبة الفكر لدى المسلمين ، وحيوية الفكر الاسـلامى نفسه الذى واجه كل شىء بأصالته .. ولم يترك ما لقيصر لقيصر .. وما لله لله .

● وحتى تكتمل الصورة المفتراة على الاسلام ، يحاول الكاتب اتهام علم الكلام الاسلامى ، بالاغتراف بلا حدود من الفلسفات التى سبقته وفى مقدمتها الفلسفة الاغريقية ، وما دام الكاتب الحاقد يعتبر القرآن تركيبا ملفقا من اليهودية والمسيحية وغيرهما .. وما دامت الأحاديث النبوية أجريت على لسان الرسول ولم يقلها .. وما دام الفقهاء المسلمون قد استعانوا فى بناء الفقه الاسلامى بالقـانون الرومانى وقوانين الكنيسة الشرقية ، وتلمود اليهـود .. اذن فلم

يبق الا أن يكون علم الكلام الاسلامى أيضـا ، قد لعبت فيه الفلسفات الاغريقية وغيرها دورا أساسيا ..

وما يحاول تجاهله هذا الكاتب : هو أن ما قام به علماء الكلام المسلمون هو ترويض الفلسفات الأخرى ، وما كان لهم أن يقفوا منها موقف الملتزم ، وهم يدركون أن لها تياراتها فى العالم ، كذلك يحاول الكاتب أن يتجاهل الفروق الجـوهرية بين التفكير الفلسفى الأجنبى والتفكير الاسلامى ، فالنظرة الاسـلامية حول العقل مثلا — كما يقول الأستاذ محمد تقى الدين المدرسى ، مؤلف : « الفكر الاسلامى مواجهة حضارية » — نابعة من اعطائه الثقة الكاملة فى كشف الحقائق الغيبية — خلافا لتلك النظرات التى تحدد العقـل بالشئون المادية ، وتنتزع منه حق الحـكم فى الأمور الغيبية — وتجعل الدين هو الحاكم المطلق فى تلك الحقائق ، وخلافا أيضـا للحسيين والتجريبيين ، الذين حـددوا العقل بحـدود المادة المحسوسة ..

ويشير المرحوم الدكتور محمد عبـد الله دراز فى مؤلفه : « الدين » الى ما يقوله « الفارابى » نقلا عن قدماء اليونان : « ان اسم الفلسفة خاص عندهم بالعلم الذى تتعقل فيه حقائق الأشـياء بذاتها — لا بمثالها — ويتوسل فيه الى اثباتها بالبراهين اليقينية — لا بمجرد الاقناع — أما الملل والأديان فطريقهـا فى التفهيم : اقناعى وتمثيلى .. » ثم يعقب الدكتور دراز بقوله :

« ان صحت هذه التفرقة فى بعض الأديان .. فانها لا تنطبق على جميعها .. فهذا دين الاسلام مثلا ، قد جمع فى تعاليمه بـين طريقتى اليقين والاقنـاع .. وبين منهجى التحقيق والتمثيـل ، والفيلسوف « ابن رشد » يقرر لنا هذه الحقيقة بطريقة تطبيقية على كثير من المسائل والنصوص ، فى كتابه « فصل المقال ، فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » .

● يبدو أن الكاتب المستشرق — كسائر رفاقه — يحرص على أن يتلمس أى شىء فى الاسلام ، سواء فى التكاليف الشرعيـة أم

المعاملات أم الأخلاق ، باحثا عن فرصـــة تسمح له ـ ولو كبرياء وجدلا ـ بالغض من الاسلام ٠٠ فهو مثلا اذ يعترف بأن الاســلام يدعو الى التمتع ـ باعتدال ـ بالطيبات من الحياة ـ وهـذا ما تدل عليه العظة الاسلامية الموفقة ـ كما يقول ٠٠ والتى تقول : اقنـع بالقليل ٠٠ الا أنه يستثنى صوم شهر رمضان ، لأنه ـ فى رأيه ـ يعد مرهقا وشاقا ٠٠

ونحن نعذر هذا الكاتب ، لأنه لم يمارس الصوم على الطريقة الاسلامية ، حتى نكلفه فوق طاقته ، وحتى نجعله يدرك أسرار هذه الفريضة ٠ »

وعجيب أن يقول بهذا الرأى كاتب يعيش فى القرن العشرين ، حيث يمارس الكثير من أبنائه أنواعا من الصيام الذى هو الكف عن شهوات البطن والجسد ، لتحقيق أغراض التربية النفسية ، والتربية الاجتماعية ، وسائر ضروب التربية النافعة ٠٠

يقول الأستاذ العقاد فى مؤلفه : « مايقال عن الاسلام » :

« وعند المقابلة بين أنواع الصـــيام ، نتبين مزايا الصـــيام الاسلامى بين جميع هذه الأنواع ، فانه واف بالشريطة العامة للصيام المفروض بحكم الدين ، أو المتبع لرياضة الأخلاق ٠٠ وهو على ذلك صالح لمقاصد التطهير والعطف والتوبة والتفكير ٠٠ ولا جدال فى رجحان الصيام ـ بنظامه الاسلامى على نظام الصيام الذى يتحرى الصائم فيه اجتناب بعض الألوان من الأطعمة الفــاخرة أو الأطعمة الشهية ٠٠ فان اجتناب بعض الألوان لا يكفى لترويض وظــائف الجسد ، وتغليب حكم الارادة عليها ، اذ كانت هذه الوظائف تؤدى عملها بكل لون من الوان الطعام ٠٠ وقد يكون فيه ترويض للذوق على اجتناب اللذائذ والشهوات الجسدية ولكنه ترويض ينتفع به القادرون على تحصيل الطعام اللذيذ ، والطعام الثمين ، ولا رياضة فيه ـ حتى الذوق ـ عند فقدان القدرة على تحصيل هذه الأطعمة فى جميع الأوقات ٠٠ لا جرم ، كان الصيام فى الاسلام نظاما لا يفضله نظام ، بين شتى الأنظمة التى تقدمت بها فرائض الصيام ٠٠ »

لقد توهم الكاتب أن الصيام حرمان وحد من حرية الانسان المسلم ، فهذه النظرة الخاطئة اليه تجعل من الصيام عبثا لا محل له ـ كما يقول الدكتور هيكل فى مؤلفه : « حياة محمد » : انمــا الصيام طهور للنفس يوجبة العقل عن اختيار من الصـــائم ، كى يسترد به حرية ارادته وحرية تفكيره ، فاذا استردهما ، استطاع السمو بهما الى عليا مراتب الايمان الحق بالله » ٠

● وفى مجال الحدود ، بينما يعترف الكاتب بأن القرآن يحتوى على أحكام دقيقة فى مسائل الشريعة ، مما يتعلق بالقوانين المدنية والجنائية والتجارية ، اذ به يرتد الى طبيعته ذات الهوى ، فيقول : « أما عقوبة السرقة ـ أى قطع يد السارق ـ فهى مؤلمة ومشينة ٠٠»

مما لا يمكن أن يفهمه مثل هذا الكاتب ، أن الاسلام جاء بمذهب فى الاصلاح الاجتماعى ، ونجح فى تطبيقه ، واذا كان فى الأرض مذاهب اصلاحية تكاد لا تحصى ـ كما يقول العلامة « محمد فريد وجدى » فى مؤلفه : « الاسلام دين الهداية والاصلاح » ـ فما الأديان الموجودة ، وما جمهورية افلاطون ، ولا كتاب السياسة لأرسطو ، وما وضعه أبيقور وغيره من الأقدمين ، وما نشره كارل ماركس ، ومن أتى بعده الى لينين ٠٠ الا مذاهب اجتماعية قصد ذووها أحداث اصلاح عمرانى على موجبها ٠٠ فانظر الى هذه المذاهب الاجتماعية المختلفة ، وتأمل : هل من بينها ما يعادل مذهب الاسلام فى الاصلاح الاجتماعى ٠٠ أو يقرب منه فى سمو أغـــراضه ، وبعـد غاياته ، واستقامة مسالكه وصحة أصوله ٠٠ ؟ ثم يقول :

« ففى نظام اجتماعى تعاونى من طراز ـ النظام الاسلامى ـ حيث يسدد التكافل والترافد ، ويمكن فيه استصراخ الحكـــومة المكلفة ، بدفع الحاجات عن المعوزين ٠٠ كيف لا يعامل العابث بأموال الناس أقسى معاملة ٠٠ بل وكيف لا تقطع يده حتى يكف سواه عن مثل عمله الذى لا يقصد به الا محض الايذاء ، وازعاج الأمن ؟؟

ولا بد هنا من الاشارة الى نقطة جديرة بالاشارة اليها ، هى أن سائر المستشرقين على وجه التقريب ـ وهم يكتبون عن الاسلام ـ

يتلقفون رؤوس المسائل ، ثم يحوطونها بهالة من المبالغة ، دون أن تفرض عليهم أمانة البحث الاهتمام بالتفاصيل — وهم أذكياء ، لأن الاهتمام بالتفاصيل سيعرى نواياهم غير السليمة ، ويعرقل مسعاهم فى تشويه الاسلام ، وفى نفس الوقت يتعمدون اهمال المقارنة بين الاسلام وغيره من الشرائع السماوية التى سبقته ، فلا حجة — كما يقول العقاد فى « حقائق الاسلام » لمن يختص الاسلام بالنقد فى مسائل الحدود ٠٠ لأنه لم يفرض على جريمة من الجرائم عقابا أقسى مما فرضته الأديان الكتابية قبله ، وما فرضته الشرائع الموضوعة فى أوانه » ٠

فمثلا ، عقوبة السرقة فى الشريعة الاسلامية ، هى « قطع يد السارق » وهذا ما يتبادر الى ذهن المستشرقين على عجل ، لذلك فلم يكتفون بأن يقولوا : ان عقوبة جريمة السرقة هى قطع اليد ، وهى عقوبه بشعة ، لكنهم يتجاهلون عن عمد ، أن الحدود — فى الاسلام — ومنها حد السرقة — مقيدة بشروط وأركان لابد من توافرها جميعا بالبينة القاطعة ، والا سقط الحد أو انتقل الى عقوبة التعزير ، اذا كان ثبوته — كما يقول الاستاذ العقـــاد : لم يبلغ من اليقين مبلغ الثبوت الواجب لاقامة الحدود ، كما أن الشريعة الاسلامية ، توجب درء الحدود بالشبهات ، للشك فى ركن من أركان الجناية ، أو ركن من اركان الشهادة ، فلا يقام الحد ، وينظر ولى الأمر فى التأديب بعقوبه من عقوبات التعزير ٠٠

لقد أفاض الشهيد « عبد القـــادر عودة » فى مؤلفه القيم : التشريع الجنائى الاسلامى مقارنا بالقانون الوضعى » أفاض فى بحثه عن حد السرقه ، افاضة على جانب من الأهمية ، دلل فيـــه على أن التشريع الاسلامى الجنائى يتمتع بمنزلة لا تدانيها فيها شريعة من الشرائع ٠٠ وعلى أن فقهاءنا الأوائل كانوا — رحمهم الله — يتمتعون بعقليات تتضاءل أمامها عقليات أشهر المشرعين فى العصر القديم والحديث ٠٠ ولو أن كاتب « اليونسكو » كلف نفسه شـــيئا من الجهد فقرأ أى كتاب من كتب الفقه الاسلامى فى مسائل الحدود ،

لأحس بشىء من الخجل ، وهو يغمز التشريع الاسلامى بشأن العقوبات البدنية التى قررها ، فالمؤرخ الأصيل يجعل من نفسه قاضيا يجلس على منصة القضاء ، ويكون مستعدا للنطق بالحكم ، بعد أن يكون قد ألم بكل أطراف القضية وتفاصيلها ، وملابساتها ، وظروف كل من الجانى والمجنى عليه ، والدوافع الظاهرة ، والدوافع الباطنة أحيانا ٠٠ وهكذا ٠٠

والكاتب المتجنى على الاسلام ، يجهل أو يتجاهل — فسيان لديه الجهل والتجاهل ، ما دامت النية متوافرة عنده على ألا ينصف الشريعة الاسلامية — أن جريمة السرقة فى شريعة الاسلام نوعان : سرقة عقوبتها حد ، وسرقة عقوبتها التعزير ، وأن السرقة المعاقب عليها بالحد — أى قطع اليد — نوعان : سرقة صغرى ٠٠ وهى أخذ المال خفية — وسرقة كبرى — وهى أخذ مال الغير على سبيل المغالبة ، وتسمى « حرابة » وتنطبق على قطاع الطرق ٠٠ ، ولابد من توافر شرطين فى السرقة الصغرى : أخذ مال المجنى عليـــه خفية ، ودون رضاه ، فاذا لم يتوفرا معا فلا حد ، كما ان السرقة المعاقب عليهـــا بالتعزير — أى التأديب الذى هو دون الحد — نوعان : كل سرقة ذات حد لم يتوافر فيها شروط الحد ، أو درىء الحد للشبهة ، كأخذ مال الابن ، وأخذ المال المشترك ، والنوع الثانى : أخذ مال الغير دون استخفاء ، أى بعلم المجنى عليه ، ولكن بدون رضاه ، وبغير مغالبة ، ويدخل تحت هذا النوع الاختلاس ٠٠ ولا حد فيه٠٠وما هو مقرر فى شريعة الاسلام أن هناك أربعة أركان للسرقة يجب توافرها كاملة حتى يقام الحد على الجانى ، بمعنى أن غيـــاب ركن واحد من هذه الأركان الأربعة يسقط الحد : الأخذ خفية ، وأن يكون المأخوذ مالا وأن يكون المال مملوكا للغير ، ثم توافر القصد الجنائى ، ولكل ركن من هذه الأركان شروط ، فمثلا لابد من توافر شروط أربعة فى ركن المال ، أن يكون مالا منقولا ، متقوما ، محرزا ، وأن يبلغ نصابا ٠٠

ومما يراه بعض الفقهاء : أن عفو المجنى عليه عن الجانى يسقط الحد ، بشرط أن يكون العفو قبل ابلاغ العفو الى السلطة ، وكذلك

يسقط الحد ، رجوع السارق عن اقراره صراحة أو ضمنا وكذلك اذا رد السارق الشيء المسروق قبل الابلاغ ،وكذلك تملك السارق للشيء المسروق قبل القضاء ، وكذلك ادعاء ملكية المسروق ، ومما يراه الفقهاء ، لا بأس بالشفاعة فى السارق ، ما لم يبلغ الحادث الامام ، وحجتهم قول الرسول : تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب ٠٠

ونحن نقصد من هذا العرض الموجز أن نوضح أيضا للذين يتوهمون أنفسهم مثقفين أو متحضرين ، فيرون فى عقوبة السرقة عقوبة قاسية بشعة ، وهؤلاء لا يقرأون ولا يبحثون ، لأنهم يقلدون غوغاء المستشرقين فى تلقف رءوس الموضـــوعات بلا أدنى روية ، واصدار أحكامهم بلا حيثيات ٠٠

لقد عرض « الشهيد سيد قطب » فى مؤلفه « فى ظلال القرآن بشأن عقوبة السرقة لمعنى غاية فى العمق والــدقة ، من خــلال استعراضه للآية الكريمة : والسارق والسارقة ٠٠ » قال :

« ولا بد من بيان لهذا الحد ، الذى يبدو فى ظاهره قاسيا ، حين ينظر نظرة سطحية الى شيء مادى يسرق ، والى يد حية تقطع ٠٠٠ ان الاسلام كل متكامل ، فلا تفهم حكمة الجزئيات التشريعية فيه حق فهمها الا أن ينظر فى مبادئه كلها ، وضماناته للناس جميعا ٠٠ والأسلام يبدأ بتقرير حق كل فرد فى الحياة ، وحقه فى كل الوسائل الضرورية لحفظ الحياة ٠٠ من حق كل انسان على الجماعة التى يعيش فيها ، وعلى الدولة النـائبة عن هذه الجمــاعة أن يحصل على تلك الضروريات ٠٠ واذن فلماذا يسرق السارق فى ظل هذا النظام ؟٠٠ انه لايسرق لسد حاجة ، انما يسرق للطمع فى الثراء ، والثراء لايطلب من هذا الوجه الذى يروع الناس، ويحرمهم الطمأنينة على ما كسبوا من مال حلال ٠٠ فالاسلام لا يعترف بملكية لم تتخذ من حلال ٠٠٠ « فاذا سرق السارق بعد ذلك ـ وهو مكفى الحاجة ـ فانه ان لم يكن مكفيا قاتل عليها علنا ـ فانه لا يسرق وله عذر ، والسيف الذى

وضعته الشريعة فى يده ليقاتل به من يمنع عنه ضروراته ، هو نفس السيف الذى تقطع به هذه الشريعة يده ، اذا هو مدها الى مال سواه، من غير عذر ولا شبهة ٠٠ فأما حين توجد شبهة له من حاجة ـ لم يستطع أن يقاتل عليها فسرق ليسدها ـ فالمبدأ العام فى الاسلام هو : درء الحدود بالشبهات ٠٠ لذلك لم يقطع عمر بن الخطاب أيدى غلمان أبى حاطب ابن أبى بلتعة حين سرقوا ناقة ، وتبين أن سيدهم لا يعطيهم كفــاية من طعام ، بل غرم السيد ضعف ثمن الناقة ، وأطلق سراح الغلمان ، وكذلك لم يأخذ أحدا بحد السرقة فى عام الرمادة ، لأنه كانت هناك مجاعة عامة ، فهى شبهة عامة تدرأ الحد حسب شريعة الله ورسوله ٠٠

ونحن نقول : ان الشريعة الاسلامية انفردت دون ســـائر الشرائع والقوانين بفكرة شبهة الحاجة كمسقطة لاقامة حد السرقة. ويضيف الى ذلك الشهيد « سيد قطب » انه يجب أن تفهم حـــدود الاسلام فى ظل نظامه المتكامل ، الذى يضع الضمانات للجميع ، لا لطبقة على حساب طبقة ، والذى يتخذ أسباب الوقاية قبل أن يتخذ أسباب العقوبة ، والذى لا يعاقب الا الظــالمين المعتدين بلا سبب للاعتداء ٠٠

ويشير بعد ذلك الى معنى انســانى لا وجود له فى الشرائع الأخرى ، وهو ما تضمنته الآية التــالية : فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح ، فان الله يتوب عليه ٠٠ ان الله غفور رحيم » فشريعة الاسلام لا تدع السارق المقطوع يموت من الجوع هو وأهله وعياله ، كمـــا تصنع شرائع الأرض بالمحكوم عليهم فى سرقة ، فتعدهم من أرباب السوابق ، وتحرمهم حق العمل ، وينبذهم المجتمع ، حتى يضطروا الى حياة الجريمة من جديد ٠٠ كلا : ان شريعة الله لأحكم وأرحم من شرائع المتمدنين فى هذه الأيام « انها تضمن رزقه ورزق عياله من بيت مال المسلمين ، فاذا تاب قبلته عضوا صالحا فى المجتمع ، وقبله الله عبدا صالحا من عباده فى الآخرة ٠٠ فلا يتشرد ولا يهمل ، ولا يتكفف الناس ٠٠ أو يعود الى حياة الاجرام ٠٠ »

● وغنى عن القول – بعد ذلك – أن فهم الشريعة بنصوصها – كما يقول العقاد : لا يغنى عن فهمها بروحها وحكمتها ٠٠ وروح التشريع الاسلامى – كما ظهرت فى نصوص الأحكام وأركان الثبوت ، روح سمحة جانحة الى العذر وتمهيد الطريق للتوبة والصلاح ، فليست العقوبة غرضا مطلوبا لذاته يبادر اليها ولى الأمر خفيف الضمير ، معفى من الحرج والمراجعة ، ولكنها ضرورة يدفعها ما دفعتها الشبهة والأمل فى التوبة والصلاح ، وليس الامام الذى يتحرج من اقامة الحد فى غير موقعة من الثبوت وتوافر الأركان مخالفا للاسلام مقصرا فى اقامة حدوده ، بل المخالف للاسلام المقصر فى اقامة الحدود من يهجم على العقوبة قبل أن يستوفى أركانها ، ويدرأ كل شبهة فيها تأتى لمصلحة المتهم أو لمصلحة الجماعة ٠٠ وانما الامام الحق فى الاسلام ، من يذكر أن اطلاق المذنب خير من ادانة البرىء ، وأن التحرج أولى ما يكون بمن يعاقب على الحرج فى أمور الدنيا والدين ٠٠

● وبعد – فان الكاتب المتجنى على الاسلام ، لم تواته الشجاعة ليقارن بين العقوبات البدنية فى الشريعة الاسلامية ، وبين غيرها من الشرائع الكتابية والوضعية معا ، ولو واتته ذرة من الشجاعة ، لما جرؤ على اتهام الشريعة الاسلامية بلفظة واحدة ، ولأدرك مدى دقة الشريعة السمحة وعظمتها ، **فالقوانين الوضعية – كما يقول الشهيد « عبد القادر عودة » حين تتطور مرة بعد مرة ، انما تسير فى أثر الشريعة الاسلامية وتأخذ بمبادئها ٠٠ وحين يقال : ان القانون الوضعى وصل الى الكمال ٠٠ يكون قد أوشك أن يبلغ فقط بعض ما بلغته الشريعة الاسلامية ٠٠ وأن اليوم الذى تأخذ فيه القوانين الوضعية من الشريعة ، قد أصبح قريبا جدا ، وأقرب مما يظن أكثر الناس »** ٠

أمشاج من الافتراءات !!

● هذه مجموعة من الافتراءات لم يكن من العسير علينا أن نفرد لكل افتراء منها بحثا خاصا به ، ولكنا رأيناها افتراءات ساذجة تقوم على مغالطات ساذجة ، حشا بها الكاتب صفحاته فى شىء من العجلة ، شأنه شأن الجبان الرعديد الذى يقذف الناس بالحجارة ، وفى غفلة منهم ، ثم يولى هاربا قبل أن ينكشف أمره ٠٠

وللحقيقة ، يجب أن نعترف بأن بحث الكاتب عن الاسلام ، لا يرفض كله ، حتى وان كان الطابع الغالب على تفكيره هو النيل من الاسلام ، وقد يكون من حقه أن يعنى بالصفحات القلقة فى تاريخ الفكر الاسلامى ، وفى التاريخ السياسى للمسلمين ، ولكن من حق التاريخ الذى يتصدى لكتابته عليه أن يكون على الأقل حياديا ما وسعه علمه ، فضلا عن أن يكون منصفا أو نزيها ، حتى لا نكلفه – كمستشرق صليبى – فوق طاقته ٠٠

ونحن هنا نمر مرورا سريعا بهذه الأخلاط من المفتريات ، لأن الغاية هو التسجيل ، ولأنها أهون من الرد عليها بالتفصيل ، ولأنها بعد ذلك مكررة فى معظم كتابات المستشرقين والمبشرين الذين تعمدوا الحط من قدر الاسلام ٠٠

أ – قد نسلم – جدلا – بأنه كان لليهود تأثيرهم – وهم فى يثرب – فى جيرانهم من العرب قبيل ظهور الاسلام ٠٠ ولكن الذى نرفضه ونصر على رفضه ، هو زعم الكاتب أن هؤلاء اليهود كان لهم أثرهم فى المراحل الأولى للنمو الاسلامى ٠٠ حتى وان كان الكاتب – من باب التمويه – أرجع هذا الزعم الى بعض المصادر العربية التى لم يذكر لنا منها مصدرا واحدا ٠٠

لقد ثبت الثبوت الذى لا شك فيه – كما يذكر الاستاذ العقاد فى مؤلفه : ما يقال عن الاسلام – أن اليهود تعلموا من المسلمين وأدبهم

وحكمتهم ٠٠ وأن المسلمين ، لم يأخذوا من اليهود شيئا غير تلك الاسرائيليات » التى تناقلها الجهلاء ، وأفلح المصلحون – أو كادوا أن يفلحوا – أخيرا فى تطهير العقول منها ، والرجوع بها الى الجادة الاسلاميه فى نظائرها من شعائر الدعوة المحمديه » ٠

ب – يقول الكاتب فى مجال القرآن كلاما عن القرآن أشبه ما يكون بالهذيان ، ويزعم أن أى تقويم للقرآن أو تقدير لقيمته الأدبية، يجب أن يؤسس على اعتبار أن القرآن ليس أكثر من مجموعة مقتطفات خطابيه موجهة لا للقراء ، ولكن للمستمعين ٠٠ ويبدو أن الكاتب العبقرى يرى ان القرآن كان للتأثير وليس للتدبر ٠٠

ولسنا بحاجة الى الرد على هذا الهذيان ، وحسبنا أن نرى ما رآه المرحوم الدكتور هيكل ، من أنه عسير على المستشرقين أن يحيطوا بكل أسرار اللغة العربية – وان أحاطوا بعلومها – ثم انهم متأثرون بالنصرانية الأوربية تأثرا يجعل أكثرهم ينظرون الى الأديان نظرة تملأها الريبة ٠٠ » فلو كان الكاتب « الملهم » ممن يستطيعون تذوق اللغة العربية ، لأصابه شيء من الحياء وهو يبدى رأيه فى القرآن ٠٠

ولا نعتقد أن الكاتب « الملهم » لم يقرأ ما قاله « كارليل » :

« ان القرآن كتاب لا ريب فيه ٠٠ وان الاحساسات الصادقة الشريفة ، والنيات الكريمة ، تظهر لى فضل القرآن ٠٠ الفضل الذى هو أول وآخر فضل وجد فى كتاب نتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها ٠٠ بل هو الكتاب الذى يقال عنه فى الختام : وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، لكثرة ما فيه من الفضائل المتعددة ٠٠

جـ – وهذه ثالثة الأثافى : حيث يزعم الكاتب أن السنة – أى الأحاديث النبوية – قد صنعت حول الخلفاء الأربعة الشرعيين – يعنى أبا بكر وعمر وعثمان وعليا – هالة من القداسة ، وعقدة هذا المستشرق الخواجة ، هو التركيز على أن الأحاديث النبوية موضوعة ، وقد أجريت – كما ادعى فى مكان آخر – على لسان الرسول بعد وفاته لتسويغ كل ما يمت الى الشريعة بصلة ، وهو يضيف هنا ، أن الدافع الى وضع الأحاديث ، هو ما جرى من منازعات بعد مقتل

عثمان رضى الله عنه ، وكنا نود أن يكون مثل هذا الكاتب « الخواجة » على شيء يسير من علوم الحديث – وهذا مطلب بعيد – ليدرك أن علماء الحديث ، قد غربلوا الأحاديث جميعها غربلة دقيقة ، وردوا منها مافيه أدنى شبهة من الضعف – فضلا عن الوضع »

على أن سيرة الخلفاء الراشدين لم تكن فى حاجة على الاطلاق ، الى هالة من القداسة ، وهم الذين كتبوا بسيرهم صفحات مشرقة فى تاريخ الاسلام ٠

* * *

● وبعد ٠٠٠

فمما يحرص عليه سائر المستشرقين الأعاجم ، من سائر الملل والنحل ، هو تشويه الاسلام كنظام حياة ، ولم يذروا جانبا من جوانبه الا أتوه منه ، واتجاه البعض منهم – بدافع من الحقد والغلو فيه – الى انكار الاسلام جملة وتفصيلا كدين سماوى ليس سوى اتجاه ساقط من أساسه ، ولكى نحترم عقولنا ، يتحتم علينا ألا نقيم لهذا الاتجاه وزنا ٠٠ لأنه أهون علينا من أن نقيم له وزنا ٠٠ حتى ولو كان من أصحاب هذا الاتجاه من انخدعنا بأمثاله ، وتوهمنا أنه على شيء من الاعتدال ، كالمستشرق الألمانى « كارل بروكلمان » مؤلف : « تاريخ الشعوب الاسلامية » فهو يقول فى بداية الصفحة الثمانين من الجزء الأول : « اذا كانت الحماسة الدينية قد غلبت فى مكة على محمد الذى أحس فى ذات نفسه أنه رسول ونذير الى أبناء موطنه ٠٠ فقد انتهى فى المدينة الى أن يصبح زعيم جماعة سياسية ، ورجل دولة موهوبا ٠٠ لا ينثنى عن هدفه النهائى وهو السيطرة على بلاد العرب ٠٠٠ » الى آخر هذا الهذيان ٠٠٠

والذى يهمنا بالدرجة الأولى ، هو أن هؤلاء جميعا يحرصون على تجريد الاسلام من أخص خصائصه الأصيلة « نظام حياة » صالح لكل زمان ومكان ، ولهم قدرات على اختلاق الفجوات فى نظام الاسلام، ولكنهم مشلولو الفكر فى المقارنة بين الاسلام وبين الملل والنحل التى ينتمون اليها ، لأنه بشيء يسير من النزاهة والأمانة والخلق سوف يتأكد لهم أن محاولتهم كمحاولة من يقذف البناء المتين المحكم

بالحجارة ، وينسى أن بيته من زجاج ...

وعلى رغم أنوفهم ، فالاسلام ـ نظام حياة ـ بناء محكم متين ، لا يهتز ، ولو قذفوه بحجارة الدنيا كلها .. سيظل ـ كما يقول « الأستاذ تقى الدين المدرسى » فى مؤلفه « الفكر الاسلامى مواجهة حضارية » ـ هو الدين الحق ، والأجدر بالانسان أن يتبعه ، وأنه منهج رب العالمين .. وأنه شامل لجميع نواحى البشر ، وشامل لكل أفراد البشر .. وشامل لكل أدواره ، ومراحل تطوره .. »

« لقد غرس القرآن الكريم بذرة الاسلام ـ كما يقول الدكتور « سيد حسين نصر » فى مؤلفه : « الاسلام أهدافه وحقائقه » ـ فى قلب الانسان ، وأذاعه بين البشر بواسطة نبيه .. من هذه البذرة نمت شجرة روحية أثمرت حضارة من أعظم حضارات التاريخ ، وتحت ظلال هذه الشجرة الوارفة ، يتفيأ جزء كبير من البشرية ، هناك يعيشون وهناك يموتون « وقد أيقنوا أن للحياة غاية .. يجب أن تتحقق . »

« **ان بعض العقـائد ليصيب النفس بما يشبه داء الفصـام** ـ كما يقول الاستاذ العقاد » فى مؤلفه : « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » ـ لأنه يقسم الشخصية الانسانية على نفسها .. ويمزق الضمير الحائر بين نوازع الجسد ونوازع الروح ، وبين سلطان الأرض وسلطان السماء ، وبين فرائض السعى وفرائض العبادة .. وشمول العقيدة الاسلامية ، هو الذى يعصم ضمير المسلم من هذا الفصام الروحانى ، وهو الذى يعلمه أن يرفع رأسه حين تدول دولته أمام المسيطرين عليه ، وهو الذى يحفظ كيـان الأمم الاسـلامية أمام الضربات التى تلاحقت عليها من غارات الفاتحين ، أو غارات الحروب الصليبية .. أو غارات الاستعمار والتبشير ..

« وشمول العقيدة الاسلامية هو الذى حقق للاسلام ما لم يتحقق لعقيدة غيره ، من تحويل الأمم العريقة التى تدين بالكتب المقدسة الى الايمان به عن طواعية واختيار .. كما آمنت به الأمم المسيحية والمجوسية والبرهمية فى مصر وسوريا وفارس والهند والصين .. »

كلمـاتـ أخـيـــرة ...

● لا عذر لجاهل .. أولا :

كما أن الجهل بالقانون لا يعفى من المسئولية ، كذلك الجهل بالتاريخ لا يعفى من المسئولية من يعرض نفسه لكتابة التاريخ ، والفرق بين الحالين ، أن المسئولية فى الأولى قانونية وفى الأخرى أدبية ، وأن ممثل الاتهام فى الأولى هو القانون ، وفى الأخرى هو التاريخ ..

والفصل الخاص بالاسلام ، الذى تضمنته موسوعة «اليونسكو» تضمن من المغالطـات والافتراءات ما لا حصر له برغم صـفحاته المعدودة ، والمسئولية أولا وقبـل كل شىء تقع على عاتق « هيئة اليونسكو » التى تتبع هيئة الأمم المتحدة ، والتى تشترك الشعوب الاسلامية فى تمويلها ، والشعوب المسلمة لم تعد تملك اليوم من أمرها شيئا من جانب ، ومن جانب آخر أحالت كل ما يتصل بالاسلام الى الهيئات والمنظمات الاسلامية فى بلادها الرسمية منها وشبه الرسمية وغير الرسمية ، وهذه الهيئـات على جميع مستوياتها لا تتحرك الا باذن من الأمير ، والأمير لا يهمه الا نفسه ، فهو لا يصدر اذنا ، ولا يسمح لأحد أن يستصدر منه اذنا .. ونحن لا نعبأ بكاتب الفصل الخاص بالاسلام ، وسواء أكان هو « جاستون فييت أو غيره » فالذى يهمنا مادة الكتابة قبل كل شىء ، وما يفرضه علينا ديننا ، ازاء اتهامات الكاتب للاسلام ونبى الاسلام وتاريخ المسلمين .. ولعل هذا القلم المتواضع قد أدى شيئا من الواجب عليه ، بعد أن فقد الأمل فى أن تتحرك همم المشتغلين بالفكر الاسلامى ، للقيام بالواجب كاملا ..

● هؤلاء المستغربون ٠٠ ثانيا :

نحن نقر بأنه لا ولاية لأحد على أحد ٠٠ بمعنى أن للكاتب أن يؤمن بالفكر الغربى الى درجة عشقه والهيام به ، لكن ليس من حقه أن يقيم ايمانه العميق بالفكر الغربى ، على أساس ايمانه العميق أيضا بافلاس الفكر الاسلامى ٠٠

واذا كان من حقنا أن نسقط من الحساب كتابات الذين يدينون بالولاء للفكر الغربى الذى لم يتخلص بعد من رواسب الصليبية ، فليس من حقنا أن ندفن رءوسنا فى الرمال كالنعام ازاء ما يكال لتراثنا الفكرى الاسلامى من تطاولات عليه ، فمؤلف كتاب : « تجديد الفكر العربى » مثلا ، لا يحسن الظن — على الاطلاق — بتراثنا ، يراه من المخلفات البدائية ، وعلينا — اذا أردنا التقدم — أن نلغى هذا التراث من حياتنا ، ونلحق بركب الحضارة الغربية ، قبل أن يفوتنا القطار ٠٠

مثل هذا الغثاء سبق أن اجتره « سلامة موسى » ولا يزال يجتره الدكتور « لويس عوض » لكن أن يصدر من أستاذ للفلسفة هو الدكتور « زكى نجيب محمود » الذى نال أخيرا ، جائزة الدولة التقديرية ، فذلك ما يثير الدهشة ، لا مجرد التساؤل ٠٠

أما ما يثير الدهشة حقا ، فهو ما جاء فى مقدمة كتاب آخر ، أصدرته « هيئة اليونسكو » أيضا عنوانه : « أثر العرب والاسلام فى النهضة الاوربية » بقلم نخبة من أساتذة الجامعات المصرية ، والمقدمة بقلم الأستاذ محمد خلف الله أحمد » أستاذ الأدب العربى الغنى عن التعريف ، قال :

« ومن حسن الحظ ، أنه قد انقضت — أو كادت — تلك المرحلة التى كانت معالجة هذا الموضوع فيها ، يشوبها أحيانا ، شىء من التحامل والتعصب من جهة ، والرغبة فى الدفاع عن الكيان وعن التراث العربى من جهة أخرى ٠٠

اننا نكن كثيرا من التوقير والاحترام لاستاذ فاضل مسلم

خالص الاسلام ، عرف دائما بالاعتدال واحترامه لما يكتب ٠٠ ولكن من حقنا أن نتساءل — ولو علمنا فيه شبهة استغراب لوفرنا على أنفسنا مشقة التساؤل :

هل عرف عن الكتاب الاسلاميين أدنى شىء من التحامل والتعصب ، وهم دائما فى موقف الدفاع ، مع أن الأولى بالاتهام بالتعصب الكتاب الغربيون ، لأن التعصب ضد الفكر الاسلامى هو السمة الغالبة على كتاباتهم ، اذا هم كتبوا عن الاسلام ٠٠ وعن الاسلام ليس الا ؟

ثم أكان المطلوب من الكتاب الاسلاميين ألا تكون لديهم رغبة فى الدفاع عن الكيان وعن التراث العربى ، ازاء ما يواجه الاسلام من تحديات ، حتى يبدو فى نظر هيئة « اليونسكو » كتابا متحررين يمكنها أن تفيد من أقلامهم فى المستقبل ؟؟

● نحن لا نزال فى موقف الدفاع :

من المكابرة الا نعترف بأن الاسلام هو دائما فى موقف الدفاع، وهذا ينطبق على الاسلام : عقيدة ونظاما وشعوبا ، فالحملات المسعورة على الاسلام ، لم تتوقف بعد ٠٠ ولن تتوقف فى المستقبل القريب أو البعيد ٠٠ هذه الحملات المسعورة تهب عليه من الغرب الصليبى ، ومن الشرق المادى الالحادى ، ومن الصهيونية العالمية ، وحتى من الهندوكية والبوذية ، وبالاضافة الى الأقلام المارقة عن الاسلام بالرغم من انتساب أصحابها الى الاسلام بحكم شهادات الميلاد ٠٠

وحتى — ونحن فى موقف الدفاع — لم نستكمل عدة الدفاع بعد ٠٠ فى الوقت الذى توافر فيه لدى خصوم الاسلام كل أسلحة الهجوم على الاسلام ، ففى كل بلد اسلامى تحرص السفارات الأجنبية فيه على اقتناء كل ما يكتب عن الاسلام وارساله الى دولها ، ويكاد يوجد فى كل بلد اسلامى أيضا مكاتب متخصصة فى ارسال المؤلفات الاسلامية الى المستشرقين والى الهيئات الأجنبية الثقافية ، وأشك

أن توجد أية هيئة اسلامية في العالم الاسلامي بأسره ، لها عناية بالحصول على المؤلفات التى تتعرض للاسلام ، وتصدر بأكثر من لغة أجنبية .. وفى كل سفارة لدولة اسلامية ملحق ثقافي ، ولكنى أجزم بأن هؤلاء الملحقين الثقافيين ، ليس لديهم أدنى اهتمام بما ينشر عن الاسلام ، ولو كان سائره هجوما على الاسلام .. ونحن لا يصل الينا الا النزر اليسير مترجما الى اللغة العربية من قبيل المصادفة لا أكثر .. ويترك البـاقى ينفث سمومه فى الأوساط الأوربية والأمريكية لتشويه سمعة الاسلام هناك .. ومن ناحية فى الأوساط المسلمة التى لا تزال اللغات الأجنبية طابع ثقافاتها حتى بعد أن تخلى عنها الاستعمار عسكريا ، وذلك لبث البلبلة فى عقول الشباب المسلم اسما حتى تتزلزل ثقته فى دينه ..

ولسائل أن يتســاءل : أين الأزهر ؟ وأين مجمع البحوث الاسلامية ؟

وربما دفعته سذاجته الى أن يتساءل أيضـا : وأين المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ؟

ولا داعى للاجابة عن التساؤل الأخير .. لأن مجرد الاجابة عنه مشاركة للمتسائل فى سذاجته وتبقى الاجابة عن التساؤلين : الأول والثانى ميسرة ، لا تحتاج الى اجهاد ذهن ، فهى اجابة تأخذ صيغة تساؤل أيضا : وأين الميزانية ؟ ولا مجال للرد على هذا التســاؤل بتساؤل جديد : لماذا لا يطلب المسئولون الـكبار بالأزهر ؟ لأنك لن تتوقع أية اجابة .. لقد ذكرت صحفنا أن احدى دول الخليج قررت أن ترسل ربع مليون من الجنيهات الى الأزهر لطبع مصحف شريف تحت اشراف الأزهر ، وأن دولة أخر دفعها الحماس « الدينى » فقررت أن تسهم بمائة وخمسين الفا من الجنيهات فى هذا المشروع الكريم .. وكلتا الدولتين مشكورة على عاطفتها نحو القرآن ، لكن قد يكون من حقنا أن نتساءل : هل العالم الاسلامى اليوم يمر مثلا بأزمة مصاحف؟ وألم يكن فى الامكان اقناع الدولتين المتبرعتين بتوجيه هذه المبالغ لخدمة الفكر الاسلامى الذى يمر بأزمة حقيقية ؟

أم أن المسألة لا هدف منها الا الدعاية .. ومجرد الدعاية ؟؟

● وبعد ..

فليست موسوعة « هيئة اليونسكو » هى وحدها التي تجنت على الاسلام ، فسائر الموسوعات ودوائر المعارف الأجنبية التى تؤرخ للعالم وحضاراته محشوة بالافتراءات على الاسلام .. وما أقل الرد عليها .. وحتى لو أمكن الرد عليها جميعا .. فأية قيمة لهذا ما دمنا نرد باللغة العربية وحدها ، فلكى نكون ايجابيين فلا مناص من الرد عليها باللغة الأجنبية التى كتبت بها .. على أن يكون لنا امكانيات النشر مثلها ..

والله يقول الحق .. وهو يهدى السبيل ..

المـــــراجع

الكتاب	اسم المؤلف
حياة محمد	الدكتور محمد حسين هيكل
حقائق الاسلام وأباطيل خصومه	عباس محمود العقاد
ما يقال عن الاسلام	عباس محمود العقاد
مطلع النور	عباس محمود العقاد
المرأة فى القرآن	عباس محمود العقاد
الفكر الاسلامى الحديث	الدكتور محمد البهى
الفكر الاسلامى مواجهة حضارية	محمد تقى الدين المدرس
مختصر دراسة للتاريخ	أرنولد توينبى
تاريخ الشعوب الاسلامية	كارل بروكلمان
تاريخ الحضارة الاسلامية	ف. بارتولد
الاسلام روح المدنية	الشيخ مصطفى الغلايينى
دستور الأخلاق فى القرآن	الدكتور محمد عبد الله دراز
الدين	الدكتور محمد عبد الله دراز
فى ظلال القرآن	الشهيد سيد قطب
الاسلام دين الهداية والاصلاح	محمد فريد وجدى
تاريخ الحضارة الوسطى	الدكتور عبد المنعم ماجد
الرسول « حياة محمد »	ر. ف. بول
الجزية والاسلام	دانيل دينيت
خاتم النبيين	الشيخ محمد أبو زهرة
شريعة القرآن	الشيخ محمد أبو زهرة
الاسلام والنصرانية	الامام محمد عبده
التشريع الجنائي	الشهيد عبد القادر عودة
الشرق الأدني	ت. كويارينج
روح الاسلام	سيد أمير على

الكتاب	اسم المؤلف
مجالى الاسلام	حيدر بامات
المرأة العربية	الشيخ عبد الله عفيفى
منهاج الاسلام فى الحكم	محمد أسد
فى العقائد والأديان	الدكتور محمد جابر الحينى
حقوق أهل الذمة فى الاسلام	أبو الأعلى المودودى
أثر العرب والاسلام فى النهضة الأوروبية	مقدمة للأستاذ محمد خلف الله أحمد
الاسلام أهدافه وحقائقه	الدكتور سيد حسين نصر
الاسلام عقيدة وحياة	الدكتور النعمان عبد المجيد القاضى
وجهة الاسلام	هـ. أ. ر. جب

فهرس

الموضـــــوع	الصفحة
مقـــدمة	٧
تمهيـــد	١٣
هل الاسلام تركيب ملفق ؟	١٩
ألم ينصف الاسلام المرأة ؟	٣٨
ألم ينصف الاسلام أهل الذمة ؟	٤٤
هل الشريعة الاسلامية منتحلة ؟	٥٣
أمشاج من الافتراءات ..!	٦٩
كلمات أخيرة ..	٧٣
المراجـــع	٧٨

٨٠

رقم الايداع ١٩٧٦/٢٤٠١
الترقيم الدولى ٤ ـ ٠٢ ـ ٧٠١١ ـ ٩٧٧

مطبعة أطلس
١١ ، ١٣ شارع سوق التوفيقية
ت : ٤٠٧٩٧ ـ القاهرة

هـذا الكتـاب

- الاسلام تركيب ملفق من المذاهب اليهودية والمسيحية أضيفت اليها التقاليد الوثنية العربية .
- القرآن مجرد من أهم خصائصه فى البلاغة .
- الشريعة الاسلامية شريعة معقدة .
- مجموعة الأحاديث النبوية وضعت فى عصر متـأخر وأجريت على لسان الرسول .
- فقهاء المسلمين تعمدوا استخدام النظم القانونية والتشريعية الأجنبية المجربة وبخاصة القانون الرومانى والقانون الفارسى والتلمود والقوانين الكنسية الشرقية .
- عقوبة حد السرقة — أى قطع اليد — عقوبة قاسية مشينة .
- دور المرأة فى مجتمع الاسلام على جانب كبير من الضآلة .
- أرهق الاسلام أهل الذمة فى البـلاد التى تم فتحها بفرض الجزية والخراج .

هذا ملخص ما جاء فى الموسوعة التى أصدرتها أخيرا هيئة اليونسكو تحت عنوان ((تاريخ الجنس البشرى وتقدمه الثقافى والعلمى)) ويقع فى عدة مجلدات تتجاوز الألف صفحة .. يتناول الفصل العاشر من المجلد الثالث أحوال العرب والاسلام .

يتصدى المؤلف الأستاذ محمد عبد الله السمان لهذه المفتريات الكاذبة باسلوب مقنـع ودراسة موضوعية ، ويشير الى أن هذه المفتريات لا تحمل شيئاً من الحقيقة وأن الاسلام يستعصى على هذه المثالب الباطلة والفكر المريض .

حسين عاشور

المختـار الاسـلامى
للطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب : ١٧٠٧
هـاتف : ٩٣٦٤٩٦